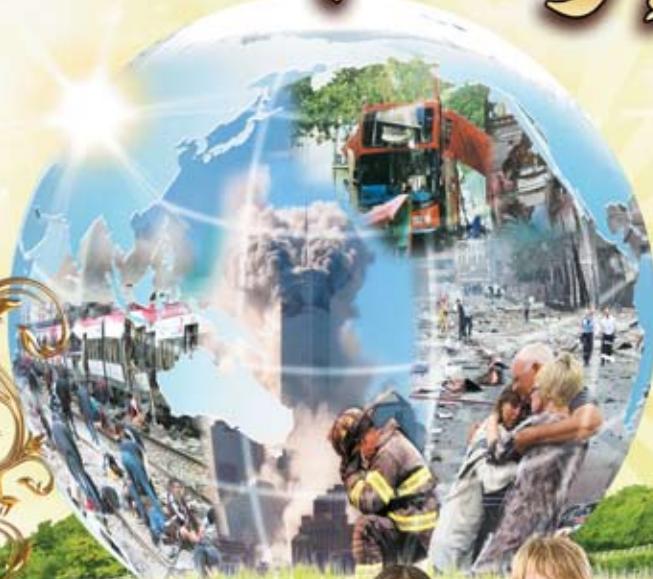


الله
رسور
محمد

هارون يحيى س

الإسلام يندد بالإرهاب



إننا نحن المسلمين ندين الهمجات الإرهابية التي استهدفت أكبر مدينتين في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 وأسفرت عن مقتل عشرات الآلاف من الناس الأبرياء.

هذا الكتاب يبين أن مصدر هذا العنف الذي ندينه لا يمكن بحال أن يكون ديناً سماوياً، وبين بصورة خاصة أنه لا مكان للإرهاب في الإسلام. وهذه الحقيقة واضحة في القرآن الذي يمثل المصدر الأسمى للإسلام وواضحة كذلك في سلوك قادة المسلمين على مدى التاريخ وفي مقدمتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويُنفي ألا ننسى أن من بين الذين قتلوا في نيويورك أو في إشنطن يوجد أناس يحبون عيسى عليه السلام (المسيحيون)، ويوجد أناس يحبون موسى عليه السلام (اليهود) ومن بينهم مسلمون كذلك. وقتل هؤلاء الأبرياء ذنب كبير جزاوه جهنم ما لم يتغمد الله برحمته وعفوه. فالذي في قلبه شيء من الدين، ويحاف الله تعالى لا يمكن بحال من الأحوال أن يُقدم على ارتكاب عمل مثل هذا.

إن الدين يوصي بالمحنة والرحمة والسلام، أما الإرهاب فهو قسوة تسعى إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء وتعريض الناس للبلاء. ومن هذا المنطلق عندما نبحث عن مصدر ارتكاب هذه الأفعال ينبغي أن نبحث عنها لا في التدين بل في اللادينية. وليس من المهم ما يحمله الإرهابي من اسم وما يكتب في هوبيته من رسم، فمن يقتل الأبرياء ولا يُبالي ليس متدين بل هو خلُو من أيّ دين. ولذلك من الخطأ أن نطلق مفاهيم مثل “الإرهاب الإسلامي” أو “الإرهاب المسيحي” أو “الإرهاب اليهودي”.

لا يوجد إرهاب في الدين الحق، بل بالعكس من ذلك فالعمليات التي نطلق عليها كلمة “إرهابية” (بمعنى الجرائم التي تُرتكب في حق الناس الأبرياء) هي في نظر الإسلام جريمة كبيرة، والمسلمون مطالبون بالتصدي لهذه الأعمال ومطالبون بنشر الأمان والسلام والعدل على الأرض.

في هذا الكتاب نبين في ضوء القرآن الكريم ومن خلال شواهد وأدلة من التاريخ كيف أن الإسلام حرم الإرهاب وسعى إلى نشر السلام والطمأنينة في العالم.

حول الكاتب



ولد عدنان أوقطرار عام ١٩٥٦، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفضح ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدّمية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكير في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهاونة لنظام المحاذين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حد الآن ترجم للكاتب نحو ٢٥٠ مؤلفاً إلى ٥٧ لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القراء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ
رَسُولُهُ
مُحَمَّدٌ



وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويبحثون الناس على قراءتها لتكون وسيلة لهدايتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدر بثمن.

وعلى هذا الأساس، فإن العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوش الأذهان وتُدخل البلبلة على الأفكار وتزيد من الشكوك والتردد ولا تملك تأثيراً قوياً وحاسماً في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مضيعةً للجهاد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتشرك كل هذا التأثير لو كانت ترتكز على بيان القوة الأدبية للكاتب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكنه أن يتحقق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاجه.

يعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الظلم والفرضي السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سببه تحكم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كله هو إلحااق الهزيمة بالفكر الإلحادي وبيان حقائق الإيمان وإجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح الناس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جره إلى الفساد والشروع والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإنما فند يُقضى الأمر ولات حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى - من خلال نهوضها بهذه المهمة - الوسيلة للوصول إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحتها لنا القرآن الكريم.

حول المؤلف

يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موقة للنبيين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوى على الغلاف رمزاً لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوى إلى أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والسنّة النبوية دليلاً ومرشداً، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للذين. ويعتبر هذا الخاتم الذي مَهَرَ به كتبه بمثابة إعلان عن أهدافه هذه.

تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثّهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملا.

تحضى كتب هارون يحيى بقبول واهتمام كبار في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كتب المؤلف إلى العديد من اللغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإويغورية والاندونيسية والملاوية والبنغالية والصربيّة والبلغارية والصينية والسوائلية (لغة مستعملة في تزانيا) ولغة الهوسو (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الديولوبي (لغة مستخدمة في موريشيوس) والدانماركية وال مجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووجدت تقدير كبيراً في كافة أنحاء العالم. وقد كانت سبباً في هداية كثير من الناس إلى طريق الإيمان وساهمت من جانب آخر في تقوية إيمان كثير من المؤمنين. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يلاحظ بوضوح الحكم البالغة التي تكمّن فيها والسهولة الموجودة بين ثابيا سطورها والصدق الذي يميز أسلوبها والعمق في تناول القضايا العلمية. وما يميّز هذه المؤلفات أيضاً سرعة تأثيرها وضمان نتائجها وعدم القدرة على نقض ما فيها ودحضه. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها بعمق لن يكون بإمكانه بعد ذلك الدفاع عن الفلسفات المادية والآراء الإلحادية والأفكار المُنحرفة الأخرى.

وإذا حدث وأن نافح منافح عن تلك النظريات بعد مطالعة هذه المؤلفات فلن يكون ذلك سوى عن عناد عاطفي لأنَّ السنّد العلمي قد تم دحضه وإبطاله. ولا شك أنَّ هذه الخصائص نابعة من قوة حكمَة القرآن وحججه الدامغة. والكاتب لا يسعى من وراء عمله هذا إلى نيل المدح والشهادة إنما هدفه وغايته هداية الناس والسير بهم في طريق الإيمان، كما أنَّ ليس همه تحصيل أي ربح أو مكسب مادي.



الإسلام يندد
بالإرهاب

هارون يحيى



المحتويات

9	مقدمة
15	أخلاق الإسلام: مصدر الأمان والأمان
41	أحكام الحرب في القرآن
59	الوجه الحقيقي للإرهابيين الذين يتصرفون باسم الدين
83	نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب
105	انتشار الأمن والسلام في الشرق الأوسط بفضل الإسلام
119	الجذور الحقيقة للإرهاب : الداروينية والمادية
143	خاتمة: توصيات للعالم الغربي
147	انهيار الداروينية

إلى القراء الكرام

إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعى الناس جمِيعاً إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقاً لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يُسرّ فهم هذه الكتب من قبل الجميع صغاراً وكباراً، ومن كل فئات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفاً معارضاً للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطيعون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والتسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جداً.

علاوة على هذا، فإن المساعدة في تعريف هذه الكتب – التي لم تُؤلف إلا لوجه الله تعالى ولأمراضاته – ونشرها بين الناس تُعد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأئلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جداً ومقنعة، لهذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرية ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحاً وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوفيق الواحٍ اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدسة، ولا ما يُحرِّر القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.

GLOBAL PUBLISHING

Talatpaşa Mah. Emirgazi Caddesi

İbrahim Elmas İşmerkezi

A Blok Kat 4 Okmeydanı – İstanbul

Tel: (+90 212) 222 00 88

مقدمة

نحن المسلمين ندين بشدة هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية على أكبر مدينتين في الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الهجمات التي تسببت في مقتل الآلاف من الأبرياء، ونقدم تعازينا للشعب الأمريكي. وقد فجرت هذه الهجمات قضية هامة وضعت على رأس قائمة النقاش الذي يدور في العالم وهي طبيعة المصدر الحقيقي للإرهاب. وهكذا فقد أعلن للعالم كله أن الإسلام هو دين السلام والتسامح الذي يدعو الناس للرحمة. وقد قال العديد من رؤساء العالم، والجهات الإعلامية ومحطات الإذاعة والتلفزيون أن الإسلام الحقيقي يحرم

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل : ٩٠)





﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(النحل : ٩٠)

العنف ويشجع السلام بين الناس وبين الأمم.

وقد تفهم العالم الغربي حقيقة الإسلام وأنه هو دين السلام الذي بينه الله تعالى في القرآن الكريم، وأدركوا أن كلمة "إسلام" وكلمة "إرهاب" لا تجتمعان أبداً، وأن كل الأديان تحرم العنف. ويؤكد هذا الكتاب بالدليل القاطع أن الدين ليس هو مصدر الإرهاب الذي ندينه جميعاً لأنه لا مجال للإرهاب في الإسلام. ويتبين هنا في القرآن الذي هو المصدر الرئيسي للإسلام وفي الأحكام والتشريعات التي توجه تصرفات المسلم الحقيقي، وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وويرهن هذا الكتاب، في ضوء آيات القرآن الكريم ومن خلال إيراد أمثلة من التاريخ على أن الإسلام يحرم الإرهاب ويهدف إلى نشر الأمن والأمان في العالم.

وكما هو معروف فقد وقعت العديد من الأحداث الإرهابية في أماكن مختلفة من العالم، تم تنظيمها من قبل مجموعات لأهداف مختلفة. فأحياناً تعلن المنظمات الشيوعية عن مسؤوليتها عن هذه الأحداث وأحياناً أخرى تكون منظمات فاشية أو أحزاب انفصالية وراء هذه الأحداث.

بينما أصبحت بعض البلاد مثل أمريكا الهدف الأساسي للإرهاب من المجموعات العنصرية والمهمشة، كما أصبحت أوروبا مسرحاً لأحداث العنف التي تقوم بها المجموعات الإرهابية.

منظمة السابع عشر من نوفمبر في اليونان، والحزب الشيوعي وحزب النازيين الجدد بألمانيا، ومنظمة ايتا الانفصالية بإسبانيا، والفرق الشيوعية بإيطاليا والعديد من المنظمات الأخرى تعمل على نشر آرائها بالعنف والإرهاب وقتل البريء.

وتغير طبيعة الإرهاب بتغيير الأوضاع العالمية وتزداد حدته وقوتها بتطور الإمكانيات والتكنولوجيا. وخاصة بعض وسائل الاتصال مثل الإنترنت فهي تساعد على نشر وتوسيع أهداف الإرهاب وجعله أكثر تأثيراً.

بالإضافة إلى المنظمات الغربية، توجد بعض المنظمات الإرهابية مصدرها الشرق الأوسط. ويتم شن الهجمات الإرهابية عن طريق هذه المجموعات في كل



"إذا نظرنا إلى الإرهاب، يجب أن ننظر إلى مصدره بعيداً عن الدين، فالدين يدعو إلى الحب والرحمة والتسامح والسلام والتعايش وفقاً للمعايير الأخلاقية بينما الإرهاب يمثل القسوة والعنف ويسبّ الألم وإراقة الدماء وارتكاب الجرائم".

مكان من العالم.

وللأسف فإن هذه الجرائم والأفعال الإرهابية التي تندى أنها ذات هوية مسيحية أو مسلمة أو حتى يهودية، هي في الحقيقة لا تتفق مع الأديان المقدسة. والحقيقة أنه إذا ما ارتكب مسلم هذا الفعل الإرهابي فإنه لا يجب أن نطلق عليه "إرهابا إسلاميا" كما أنتا



لا نسميه "إرهابا يهوديا" او "إرهابا مسيحيا" إذا ما قام به واحد من أتباع هاتين الديانتين، والسبب، كما سيتم بيان ذلك هو أن قتل الأبرياء باسم الدين غير مقبول. ويجب أن لا ننسى أن الذين قتلوا في أحداث ١١ سبتمبر بنيويورك من المسلمين والمسيحيين واليهود. فان قتل الأبرياء خطيئة كبيرة عقابها جهنم، إلا من رحم الله، ولن يقوم بها أي إنسان يخاف الله تعالى.

فالمعتدى يقوم بهذه الجرائم بهدف مهاجمة الدين نفسه، وقد يكون هدفها تشويه صورة الدين وإبعاد الناس عنه وتشويه صورة المتدينين. وبالتالي فإن أي هجوم على مدن أمريكية أو أي أناس أبرياء آخرين يحمل واجهة دينية، هو في الحقيقة يهاجم الدين نفسه.

إن الدين يدعو إلى الحب والرحمة والسلام، بينما على النقيض نجد أن الإرهاب يمثل القسوة وهو بعيد عن الرحمة ولا يجلب سوى الدماء والدموع. وهكذا فإنه يجب أن نبحث عن مصدر الإرهاب في الكفر وفي الدين. ويجب أن نضع في دائرة الشك هؤلاء الذين يحملون اتجاهات شيوعية أو عنصرية أو مادية.

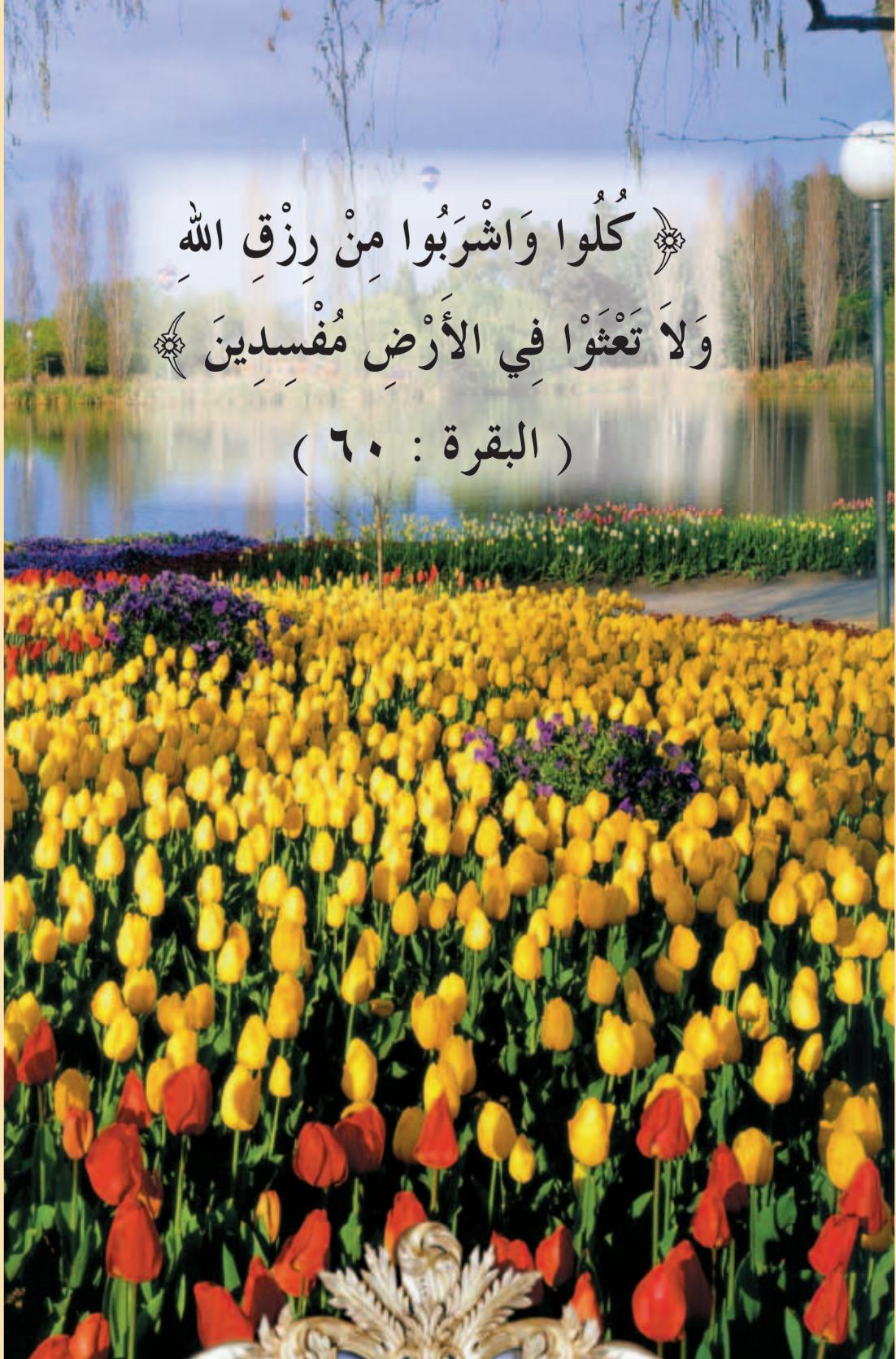
فهوية المعتدى لا تهم، طالما أنه قادر على قتل الأبرياء دون تردد، إذن فهو كافر وليس مؤمن. فهو قاتل لا يخاف الله، هدفه الأساسي سفك الدماء والتسبب في الأذى. ولهذا السبب فإن "الإرهاب الإسلامي" فكرة خاطئة تتناقض مع رسالة الإسلام. فدين الإسلام لا يوافق بأي حال من الأحوال على الإرهاب. بل على العكس فإن الإرهاب وقتل الأبرياء هما عند الله من أكبر الكبائر. وال المسلمين مسؤولون عن منع مثل هذه الهجمات ونشر السلام والعدل في العالم.

أخلاق الإسلام: مصدر الأمان والأمان

إن بعض الأشخاص الذين يقومون بهذه الأفعال باسم الدين هم في الحقيقة يسيئون فهم الدين وبالتالي يمارسونه بالطريقة الخاطئة. وسيكون من الخطأ أن نبني فكرتنا عن الدين معتبرين هؤلاء الأشخاص مثالاً له، فاحسن طريقة لفهم الدين هي دراسته من مصادره الصحيحة.

فال المصدر الإلهي للإسلام هو القرآن الكريم الذي يرتكز على المفاهيم الأخلاقية والحب والرحمة والتواضع والتضحيه والتسامح والسلام. فالمسلم الذي يعيش بهذه المبادئ بمفهومها الحقيقي سوف يكون أكثر تأدباً وأرق مشاعر وأكثر تواضاً وجديراً بالثقة والعشرة وسوف ينشر حوله الحب والاحترام والألفة وجمال الحياة.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ
وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
(البقرة : ٦٠)





"إن المجتمع الذي تشيع فيه القيم الأخلاقية الإسلامية هو مجتمع يتميز بالسلام والتسامح والحب والرحمة والتعاون المتبادل والفرح"

ولهذا السبب فان وسيلة الإرهاب هي تعريض الأبرياء للعنف، وهي وسيلة تخلو من أي تبرير أخلاقي. ومثال علي هذا جرائم القتل التي ارتكبها هتلر وستالين ضد الإنسانية .

أنزل الله القرآن ليهدي به الناس إلى سواء السبيل وفيه يأمر الله الناس بالتحلي بمكارم الأخلاق. وهذه الأخلاقيات ترکز على مبادئ مثل الحب والرحمة والتسامح. وفي اللغة العربية تشتق كلمة "إسلام" من الكلمة "سلام".

أرسل الله الإسلام إلى البشرية بهدف نشر السلام على وجه الأرض، وهو أحد مظاهر رحمة الله بعباده. يدعو الله الناس إلى التحلي بأخلاقيات الإسلام من خلال الرحمة والسلام والتسامح. قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوهُ فِي السَّلَمَ كَافَةً وَلَا تَتَّبِعُوهُ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

الإسلام دين السلام

الإرهاب بمفهومه العام، هو العنف المرتكب ضد أهداف غير مسلحة لأغراض سياسية. وبمعنى آخر، فأهداف الإرهاب هم المدنيون الأبرياء والذين يمثلون في نظر الإرهابيين ”الطرف الآخر“، وهذه هي جريمتهم الوحيدة.



و كما تقول الآية فمن يقتل إنساناً واحداً بدون ذنب أو تسبب في الفساد في الأرض، فكأنه قتل جميع الناس.

وهكذا يتضح لنا أن ذنب قتل الآخرين وترويعهم والذى يعرف باسم "الهجمات الانتحارية" لا يقتربه إلا الإرهابيون. ويخبرنا الله عن عقاب هؤلاء في الآخرة قائلاً: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلَمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أولاً لك لهم عذاب أليم ﴿الشورى : ٤٢﴾

كل هذا يبين لنا أن أعمال الإرهاب التي تنظم ضد الأبرياء هي أيضا ضد الإسلام، ولا يستطيع أي مسلم ارتكاب مثل هذه الجرائم. بل على العكس، فالمسلمون مسؤولون عن إيقاف هؤلاء الإرهابيين والقضاء على الفساد ونشر الأمان والأمان في الأرض. فالإسلام لا يتفق أبداً مع الإرهاب، بل هو الحل والسبيل لمنعه.

الله يلعن المفسدين

لقد حرم الله على الناس ارتكاب الشر مثل الظلم والعنف والقتل وسفك الدماء. ويصف الذين لا يتبعون أوامره بكونهم من “أتباع الشيطان”. وقد وصف الله هؤلاء في العديد من آيات القرآن منها:

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاضِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَئِكَ لَهُمُ الْلَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿الرَّعد١﴾

﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة ٦٠)

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٦)

وهوؤلاء الذين يعتقدون انهم ينجحون عن طريق الأذى والثورة والاضطهاد وقتل

وَكَمَا يَتَضَعُّ مِنِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَالْأَمْنُ يَتَحَقَّقُ بِالدُّخُولِ فِيِ الْإِسْلَامِ وَالْعِيشِ
وَفِي أَخْلَاقِِ الْإِسْلَامِ.

فَأَخْلَاقُ الْقُرْآنِ وَقِيمَه يَحْدُدُ مَسْؤُلِيهِ الْمُسْلِمِ فِي تَعْاملِه مَعَ الْآخِرِينَ بِالرَّحْمَةِ
وَالْعَدْلِ، سَوَاءً كَانُوا عَلَيْهِ دِينُ الْإِسْلَامِ أَوْ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْأَدِيَانِ. وَيَدْعُونَا إِلَى حِمَايَةِ
الْفَقَرَاءِ وَالْأَبْرَيَاءِ وَمَنْعِ الْأَذَى عَنِ الْآخِرِينَ.

وَالْمَقْصُودُ بِالْأَذَى كُلُّ أَنْوَاعِ الْفُوضَى وَالْإِرْهَابِ الَّتِي تَتَسَبَّبُ فِي غِيَابِِ الْأَمْنِ
وَالرَّاحَةِ وَالسَّكِينَةِ. وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وَقَتْلُ إِنْسَانٍ بِدُونِ ذَنْبٍ مِّنْ أَكْبَرِ أَنْوَاعِ الْفُسَادِ. وَنَذْكُرُ هُنَا أَمْرَ اللَّهِ لِلْيَهُودِ فِي
الْقُرْآنِ :

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة : ٣٢)

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾
(المائدة : ٣٢)



ومهما يكن من أمر، فمن الواضح أن السبب الأساسي المحرك لمثل هذه الأفعال بعيد كل البعد عن تعاليم القرآن الكريم وتجيئاته المرتكزة على الحب والاحترام والتسامح. و كنتيجة لغياب الدين، فإن مثل هذه الجماعات لا تخاف الله ولا يؤمن أفرادها بالحساب ولا بالآخرة وعقيدتهم أن "أحدا لن يحاسبهم"، ولذلك فهم يتصرفون بلا مبالاة دون شفقة أو رحمة أو ضمير.

هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال الإرهابية باسم الدين هم في الحقيقة منافقون، يرتكبون إثما نهى الله تعالى عنه. وقد اخبرنا الله في القرآن الكريم عن عصابة مكونة من تسعة رجال خططوا لقتل النبي عليه الصلاة والسلام متعاهدين باسم الله، قال الله عنهم:

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةُ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسِمُوا بِاللهِ لَنْبَيِّنَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلَيْهِ مَا شَهَدْنَا مَهْلِكًا أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكْرُوْرَا مَكْرُرَا وَمَكْرُنَا مَكْرُنَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل :

(٤٨)

وكما تبين هذه الحادثة المذكورة في القرآن الكريم فإن الإرهابيين الذين يقومون بأفعالهم تحت اسم الله وقسمه، هم في الحقيقة ليسوا متدينين بل يستخدمون هذه التعبير لكي يضفوا علي أنفسهم الصبغة الدينية، ولكن الحقيقة هي أن أفعالهم ونواياهم مخالفة لما أراده الله وهي ضد مبادئ الدين. وحقيقة ما يؤمنون به تظهر في أعمالهم، فأفعالهم تكون سببا في الفساد والبعد عن الحق. فمما لا شك فيه أن هؤلاء الأشخاص لا يمتون بصلة إلى الدين وأهدافهم لا تخدمه من قريب أو من بعيد. إن من يخشى الله تعالى لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يشارك في أعمال العنف. لذلك فإن الحل الحقيقي للقضاء على الإرهاب هو الإسلام. وعندما تنتشر المبادئ والأخلاقيات الرفيعة الموجودة في القرآن يكون من المستحيل أن يربط الناس بين الإسلام الحقيقي وهذه المجموعات التي تزرع الكراهية وال الحرب

الأبرياء يرتكبون ذنباً كبيراً. فقد حرم الله جميع أشكال الشر ومنها الإرهاب والعنف ويدين الذين يرتكبون هذه الجرائم بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يوحنا : ٨١)

في هذه الأيام، تحدثت أعمال الإرهاب والإبادة الجماعية والمذابح في كل مكان في العالم، ويقتل الأبرياء بشكل وحشي في العديد من بلدان العالم حيث تتصارع جماعات فيما بينها لأسباب عرقية وعصبية. هذا الرعب الذي ينتشر في جميع بلدان العالم يختلف باختلاف الزمن والثقافة والحياة الاجتماعية وكل حدث له أسبابه ومصادره الخاصة.

"من الواضح أن هناك أسباباً عديدة للإرهاب الذي أودى بحياة مئات الآلاف من الأبرياء. وهؤلاء الذين يرتكبون هذه الأفعال لا يخافون الله . وهم بعيدون كل البعد عن مبادئ الدين وأخلاقياته"



مسئوليّة المؤمنين

إنَّ الَّذِينَ لَا يُعِيرُونَ اهْتِمَامًا لِمَثْلِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ لَأَنَّهَا
لَا تؤثِرُ عَلَيْهِمْ تَأثِيرًا مُبَاشِرًا، إِنَّمَا يَفْتَقِدُونَ إِلَى الْبَصِيرَةِ وَالْحِكْمَةِ،
وَلَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ نِعَمًا عَظِيمَةً تَتَمَثَّلُ فِي مِشَاعِرِ الإِيثَارِ وَالْأَخْوَةِ
وَالصِّدَاقَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخلَّصُوا مِنْ أَنَانِيَّتِهِمْ.

يحاول مثل هؤلاء الناس إرضاء أنانيتهم بكل الوسائل الممكنة دون أي اكتراش بالخطر الذي يهدد الإنسانية. ومن ناحية أخرى، يمدح الله في القرآن هؤلاء الذين يجاهدون من أجل حياة أفضل لهم ولغيرهم ويهتمون بما يدور حولهم من أمور ويدعون الناس للطريق الصحيح. ويشير القرآن الكريم إلى هؤلاء الذين لا يأبهون الآخرين ولا يريدون لهم الخير، ويشير كذلك إلى أولئك الذين يسعون في طريق الخير والصلاح:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ هُلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل : ٧٦)

وَكَمَا تشير الآية إلى الذين هم "على صراط مستقيم" يخلصون لديهم ويخافون ربهم ويأخذون القيم الروحية في اعتبارهم ويتلهفون لخدمة الناس. وعموماً فقد سخر الله مثل هؤلاء الناس لخدمة الإنسانية وتحقيق فوائد عظيمة للبشرية. لذلك فإنه من الضروري أن يتبع الناس الدين الحقيقي ويعيشون في ظل توجيهات القرآن الكريم الذي هو آخر كتب الله . ويعرف الله في القرآن هؤلاء الذين يعيشون في ظل أخلاقياته قائلا:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوَا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

(الحج : ٤١)

والغوضى. وذلك لأن الله حرم الإفساد قائلاً:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّ يَ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقِنَ اللَّهَ أَخْدَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِسَ الْمِهَادَ ﴾ (البقرة : ٢٠٥ - ٢٠٦)

وكما جاء في الآية السابقة فالمؤمن لا يغض بصره حتى عن أصغر الأفعال التي تؤدي الآخرين. أما هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله والآخرة فيفعلون وبلا تردد كل الشرور والآثام ويعتقدون أن أحدا لن يحاسبهم.



"أولئك الذين يهددون حياة الأبراء وخاصة الأطفال منهم، يجب أن يسألوا أنفسهم، أي ذنب جناه هؤلاء الأطفال؟ ألم يحاسبهم الله عما يرتكبونه ضد الأبرياء؟؟؟"

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالَّدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً
﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢)

وَكما توضح هذه الآية فإن الله يطلب من المؤمن أن يكون باراً بأخيه المؤمن،
ويطلب منه أن يكون محبا لفعل الخيرات وتجنب الشرور والمعاصي . ويعد الله
المحسنين قائلا :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشَرَةُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام : ١٦٠)

ويصف الله نفسه في كتابه قائلا "علم ما تحفي الصدور" ويزدحر سبحانه الناس
من غضبه حتى يتجنبو المعاصي . فالمسلم الذي سلم نفسه لله يجب أن يفعل ما
بوسعه لمحاربة الإرهاب.

ال المسلم لا يقف موقف المتفرج مما يدور حوله حتى وإن لم يصبه ضرر وذلك
لأنه قد سلم أمره ونفسه لله تعالى. إنه سفير الخير، فهو لا يستطيع أن يقف في الحياد
إزاء ما يقع من العنف والإرهاب، بل على العكس، المسلم هو العدو الأول للإرهاب
، هذا الإرهاب الذي يقتل الأبرياء دونما ذنب ارتكبوا. فالإسلام ضد كل أنواع
العنف بل ويحاول منعه قبل أن يبدأ. بمعنى آخر، يدعو الإسلام إلى أن يسود السلام
والعدل بين الناس ويأمرهم أن يتجنبو التنازع والتقاول.

الله يأمر بالعدل

وصف القرآن العدل الحقيقي وأمرنا به، فالعدل ألا نفاصل بين الناس وأن نحمي
حقوقهم ، وأن لا نحيز عنفاً أبداً مهما كانت الظروف وأن نقف إلى جانب الضعيف

الله يأمر بفعل الخير

المسلم إنسان يلتزم بأوامر الله ويحاول جاهداً أن يعيش في ظل تعاليم القرآن في ود وسلام ، مما يجعل من العالم مكاناً أكثر جمالاً وأماناً. وهدف المسلم هو إرشاد الناس للجمال والصلاح والخير كما جاء في القرآن تاكريراً :

﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَ حَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص : ٧٧)

يسعى المسلم جاهداً للكسب رضا الله ورحمته ليدخله جنته. لذلك فهو يتصرف بقدر استطاعته بما يرضي الله ما دام حيا. ومن أكثر مظاهر السلوك الأخلاقي وضوها هي الشفقة والرحمة والعدل والأمانة والتسامح والتواضع والتضحية والصبر. والمسلم الحقيقي يعامل الناس بالحسنى ويحاول أن يفعل الخير وينشره. ويأمر الله المؤمنين في آياته قائلاً:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ ﴾ (الحجر : ٨٥)



"من أهم تعاليم الإسلام: الحب والرحمة والتعاون والتضحية والتسامح والمغفرة. ومن المحال أن يوجد العنف والإرهاب في مجتمع يتحلى بتلك المبادئ والأخلاقيات".



إن الله العادل يأمر في قرآنـه بالعدل والمساواة بين الناس دون تمييز على أساس اللغة أو الجنس أو العرق أو الدين، فالعدالة في القرآن لا تتغير بتغيير المكان ولا الزمان ولا الأشخاص. وحتى يومنـا هذا نجد أن كثيرـا من الناس في أماكن كثيرة يتعرضون للظلم والمعاملة القاسية فقط بسبب لونـهم أو جنسـهم.

يخبرـنا الله في القرآن أنه خلق الناس مختلفـين "لتعرفـوا". فقد خلق الناس أمـما مختلفة ولكن كلـهم سـواء وجميعـهم عبـاد الله .

وكل واحد يحسن به أن يـتـعـرـف على ثـقـافـة الآخـرـين ولـغـاتـهـم وتقـالـيدـهـم وإـمـكـانـيـاتـهـم الشـرـبةـةـ. وبـاختـصـارـ، فـمـنـ بـيـنـ غـايـاتـ خـلـقـ شـعـوبـ وـأـجـنـاسـ مـخـتـلـفـةـ لـيـسـ النـزـاعـ وـالـحـربـ بلـ التـعـدـ وـالـغـنـىـ الثـقـافـيـ.

ومـثـلـ هـذـاـ الاـخـتـلـافـ فـضـلـ كـبـيرـ منـ اللهـ عـلـىـ خـلـقـهـ . وـحـقـيقـةـ أـنـ شـخـصـ أـطـولـ منـ الآـخـرـ أـوـ أـنـ بـشـرـتـهـ صـفـرـاءـ أـوـ بـيـضـاءـ فـهـذـاـ لـاـ يـجـعـلـهـ أـفـضـلـ مـنـ الآـخـرـينـ. وـكـلـ

ضد الظالم ونساعد المحتاج.

يتطلب العدل حماية حقوق كل الأطراف عند التوصل لقرار حل النزاع، وتحليل كل مظاهر الحدث، والتخلي عن كل الأحقاد. وينبغي على المرء إزاء كل ذلك أن يكون موضوعياً، صادقاً، متسامحاً، رحيمًا وعطوفاً. فعلى سبيل المثال، الشخص الذي لا يستطيع أن يكون محايدها في تحليل الأحداث ويتبذل بمشاعره وعواطفه سيقى تحت تأثير هذه المشاعر ويفشل في الوصول إلى القرار الصحيح. على أية حال من يحكم بالعدل عليه أن يضع كل مشاعره وآرائه الشخصية جانباً ويعامل كل الأطراف بالعدل، وفي النهاية ينحاز للحق مهما كانت الظروف، ولا يبتعد أبداً عن طريق الأمانة والصدق. ويجب أن يتقمص الشخص روح القرآن لكي يراعي مصالح الآخرين قبل مصلحته الشخصية حتى وأن لحق بهضره حفاظاً على العدل.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(المائدة : ٤٢)

وفي سورة النساء يأمر الله المؤمنين بالعدل حتى وإن كان على حساب

النفس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنْكُمْ أُوْفَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء

: ١٣٥)

يصف الله العدل في القرآن وصفاً دقيقاً ويخبر المؤمنين بالموقف الذي يجب أن يتبنوه في مواجهة الأحداث والطرق التي يتوجب اتباعها للوصول إلى العدل. مثل هذا التوجيه يسر للمؤمنين ورحمة من الله عز وجل.

ولذلك فإن المسلم مطالب بممارسة العد دون انحياز وذلك لكسب رضا الله والعيش في سلام وأمان.



﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمِنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا أَفَإِنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٩٩)

كل مشاعره الخاصة جانباً ويتصرف ويحكم في حدود العدل فحسب.
ويجب أن لا تلقي مشاعره بظلالها علي ضميره وعقله، وأن يجعل ضميره دائماً
هو ملهمه للانصياع لأوامر الله وأن لا يتخلى عن الاستقامة، وهذا ما أمرنا الله به في
القرآن الكريم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَيْئًا
قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة : ٨)

وكمما توضح هذه الآية فإن الذين يخافون الله هم الذين يمثلون لأوامره في
تحقيق العدل. ويعرف المؤمن أنه سينال رضا الله عندما يحكم بالعدل. وعندما
يرى الناس حسن تصرفه وعدله يثقون به ويشعرون بالراحة في حضوره ويأتمنونه
على مصالحهم وأسرارهم. ومثل هذا الشخص يحظى بالاحترام من الناس حتى من
الأعداء، وربما يهدي بأخلاقه الكريمة بعض الناس للإيمان بالله.

وكمما توضح هذه الآية فإن الذين يخافون الله هم الذين يمثلون لأوامره في
تحقيق العدل. ويعرف المؤمن أنه سينال رضا الله عندما يحكم بالعدل. وعندما
يرى الناس حسن تصرفه وعدله يثقون به ويشعرون بالراحة في حضوره ويأتمنونه
على مصالحهم وأسرارهم. ومثل هذا الشخص يحظى بالاحترام من الناس حتى من

سمة يمتلكها الإنسان هي في الحقيقة من خلق الله وإبداعه، ولكن عند الله ، تلك الاختلافات الشكلية لا تعني شيئاً.

والمؤمن يقترب من الكمال بخوفه من الله وإيمانه به. ونرى هذه الحقيقة واضحة في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًاٰ وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ (الحجرات : ١٣) وكما يعلمنا الله في هذه الآية، فإن مفهوم العدالة يتطلب المساواة والتسامح والمسالمة في تعاملنا مع الآخرين دون تمييز بينهم.

شأن قوم لا يبرر ظلمهم

الكراهية والغضب هما السبب الحقيقي لكل الشرور. غالباً ما يمنع الناس من اتخاذ القرار السليم والتفكير بشكل عقلاني. وبالتالي يمكن يدفعا بالإنسان إلى إيقاع الظلم بالآخرين الذين يشعر نحوهم بعداوة، وربما يتهمهم بأفعال لم يرتكبوها، أو يصدق أي شهادة زور ضدتهم رغم علمه ببراءتهم.

وبناء على هذه العداوة قد يتعرض الناس لظلم لا يطاق. بعض الأشخاص يرفضون شهادة الحق في صالح أناس يختلفون معهم رغم علمهم ببراءتهم ويخفون أدلة هذه البراءة .

وإلى جانب كل ذلك فهم يجدون سعادتهم في تعasse هؤلاء الناس ومعاناتهم لما يلاقوه من ظلم كبير. ومن ناحية أخرى لا يريدون أبداً للبريء أن تظهر براءته. لهذه الأسباب نجد أن الناس في المجتمعات الفاسدة لا يثقون ببعضهم البعض، ويعيشون في قلق دائم خوفاً من أن يكونوا الضحايا القادمين لأناس آخرين. ومع فقدان هذه الثقة المتبادلة، يبدأ الناس في فقدان كل المشاعر الإنسانية من تسامح وتعاون وغيرها بل وينشأ الإحساس بالكراهية بينهم.

لا يجب أن تؤثر مشاعر المؤمن الشخصية على قراره نحو شخص أو جماعة معينة. ومهما يكن عداء الشخص الذي يحكم عليه أو فساده، يجب أن يترك المؤمن

ويجب أن نترشد بهذه الآية:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة : ٢٧٢)

ويجب أن لا يلجا المسلم في دعوته إلى الله إلى أي نوع من الإجبار أو الضغط النفسي أو الجسدي . ولا يستخدم أي إغراء دنيوي ليعتنق أي شخص الدين . وإذا لم يجد استجابة لدعوته عليه أن يرد كما وجها القرآن :

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾ (الكافرون : ٦)

يوجد في هذا العالم أنواع كثيرة من المعتقدات، الملحد والهندوسي والبوذى واليهودى والمسىحي والمشرك والوثنى . ويجب أن يتحلى المسلمين بالتسامح تجاه كل هذه المعتقدات والديانات، ومهما يكن دين الآخرين يجب أن يتصرف المسلم تجاههم بالعدل والتسامح والإنسانية . هذه هي مسئولية المؤمنين، الدعوة إلى الله ومحاسن الأخلاق، وذلك بالحسنى والتسامح .

وتبني هذه الحقائق والإيمان بها أو رفضها فهو قرار يرجع إلى الطرف الآخر وحده. أما إجبار الآخرين على اعتناق الدين وفرض مبادئه عليهم فهو انتهاك لمبادئ وأخلاقيات القرآن . ويدرك الله المؤمنين في القرآن:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٩٩)



"عام ١٤٩٢ ، طرد الملك فرديناند والملكة ايزابيلا اليهود الذين رفضوا تغيير دينهم من أسبانيا . وقد استقبل هؤلاء اليهود في الدولة العثمانية التي كانت مثالاً في التسامح والعدالة الدينية"



"مهما تكن عقيدة الآخرين ، مسيحي ... يهودي ... بوذي ... أو حتى هندوسي ، فإن المسلم مطالب بالتحلي بالتسامح والرحمة والعدل والإنسانية تجاه كل الناس كما أمرنا القرآن".

الأعداء، وربما يهدى بأخلاقه الكريمة بعض الناس للإيمان بالله.

الإسلام يدافع عن حرية الفكر

الإسلام دين يحترم حرية الفكر ووجهات النظر وأساليب الحياة المختلفة. وقد حرم النزاع والجدل وسوء الظن بالآخرين. وفي نفس الوقت يحرم الإرهاب وكل أنواع العنف، وحرم الإرهاب الفكري وال النفسي :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطٍ ﴾ (الغاشية : ٢١)

(٢٢)

إجبار الناس على اعتناق دين معين ينافي تماما روح الإسلام وجوهره، فالإيمان الحقيقي، وفقا للإسلام، يأتي فقط من الإرادة الحرة والضمير الوعي.

وبالطبع يجب أن يوصي المسلمين بعضهم البعض بالأخذ بمبادئ وأخلاقيات القرآن. وعلى المسلم أن يدعو إلى هذه المبادئ ويوضحها ويشرحها بالحسنى وباللين واللطف وعليهم أن يشرعوا فضائل الدين مستندين بقوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (الإسراء : ١٢٥)



﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادَ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة : ٣٢)
 ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّاهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْبُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (الفرقان : ٦٨)

وكما توضح هذه الآيات، فمن يقتل الأبرياء سوف ينال عقاباً عظيماً ويخبرنا الله أن خطيئة قتل إنسان واحد كخطيئة قتل كل البشرية. والشخص الذي يراغي حدود الله لا يمكنه قتل إنسان آخر، فما بنا بقتل آلاف الأبرياء. وهؤلاء الذين

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَجَارٍ فَذَكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ ﴾ (ق : ٤٥)

إن إجبار الناس في بعض المجتمعات على اعتناق عقيدة ما أو فكرة أمر يتناقض تماماً مع الإسلام . ويجب أن يعبد الإنسان الله ويخافه بمحض إرادته . وتظهر القيمة الحقيقة للايمان والعبادة إذا ما مارسها الإنسان بكامل حرفيته ابتغاء لوجه الله سبحانه وتعالى . أما إذا فرض الحكم العقيدة والعبادة على الناس فانهم سيمارسونها خوفاً منه . ويجب أن تكون ممارسة العبادة والدين في جو من الطمأنينة والحرية وذلك لكسب رضا الله سبحانه وتعالى .

إن التاريخ الإسلامي مليء بأسماء ناصعة لحكام المسلمين تسامحوا مع جميع الأديان واحترموها، بل هم أنفسهم من أوجدوا الحرية الدينية . فعلى سبيل المثال، وصف توماس أرنولد (المبشر البريطاني لدى الحكومة الهندية) وصف علاقة الإسلام للحرية قائلاً :

" لم نسمع أي شيء عن محاولة إجبار السكان غير المسلمين على اعتناق الإسلام بالقوة، ولم نسمع كذلك عن أي اضطهاد للمسيحيين . ولو أراد الخليفة المسلم أن يقضي على المسيحية في ذلك الوقت لاستطاع بغاية السهولة تماماً مثلما فعل فرديناند وإيزابيلا الذين أخرجا الإسلام من إسبانيا . أو مثل لويس السادس عشر الذي منع البروتستانية في فرنسا . أو حتى مثل طرد اليهود من إنجلترا لمدة ٣٥٠ عاماً . وقد حرمت الكنائس الشرقية في آسيا تماماً التواصل مع المسيحيين ، في الوقت الذي لم يجد فيه هؤلاء المسيحيون من يدافع عنهم حتى من باب الغيرة على الدين . لكن بقاء هذه الكنائس إلى وقتنا الحاضر برهان في حد ذاته على الموقف المتسامح من الحكام المسلمين نحوهم " ١

تحرير قتل الأبرياء

قتل الأبرياء بلا ذنب من أكبر الخطايا التي ذكرها القرآن الكريم:

يعتقدون أنهم يستطيعون الهرب من العدالة والحساب في هذه الدنيا، فإنهم بالتأكيد لن ينجحوا في الهرب من حساب الله وعقابه. وللهذا السبب يحاول المؤمنون إرضاء الله بآعمالهم لأنهم يعلمون أنه سيحاسبهم عليها بعد موتهم.

الله يأمر المؤمنين بالرحمة

ذكرت مبادئ الإسلام وأخلاقياته في العديد من الآيات منها :

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (البلد : ١٧-١٨)

وكما توضح الآية، فإن الحث على الرحمة بالآخرين هي من أكبر الحسنات التي يُرحم بها المؤمن يوم الحساب ويدخل بها الجنة.

حب الله هو السبب الحقيقي للرحمة، فحب الإنسان الله يجعله يحب كل مخلوقات الله، ويشعر بالقرب منها. هذا الحب والقرب الشديد لله، يجعل المؤمن





توفر تعاليم الإسلام حياة مليئة بالحب
والبهجة والسلام والسعادة لجميع الناس



"الأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَدْعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى حِمَايَةِ
حُقُوقِ الْيَتَامَى وَالْفَقَرَاءِ وَذُوِّي الْحَاجَةِ وَأَنْ يَكُونُ
كُلُّهُمْ عَوْنَى لِلآخرِ"

﴿خُذُوهُ فَغُلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوهُ * ثُمَّ فِي سَلْسَلَةِ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذَرَاعًا
فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
(الحاقة : ٣٤-٣٥)

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَّ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى
طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون : ٣-١)
﴿وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الفجر : ١٨)

رأينا ما وُصف به المسلم في هذه الآيات من صفات مثل المحبة والرحمة.
وبالطبع لا يمكن لمن يمتلك هذه الصفات أن يكون إرهابياً أو حتى يوافق على
أعمال العنف التي ترتكب ضد الأبرياء. وعلى العكس تماماً فإن شخصية الإرهابي لا
توافق أبداً مع ما ذكر في القرآن من صفات. فالإرهابي شخص عديم الرحمة ينظر
إلى العالم نظرة كراهية وكل ما يريد هو القتل والتدمير وسفك الدماء.

هذه الأخلاق التي ذكرها القرآن تجعل من المسلم إنساناً راقياً متحضرًا. فهو
يتقرب لكل الناس بالحب ويحترم كل الآراء ويحاول دائماً أن يحل النزاع والتوتر
أينما وجد عن طريق التفاهم مع كل الأطراف والتعامل معهم بالعدل. والمجتمعات
التي يعيش فيها أناس بهذه المواصفات تنعم بحضارة راقية وأخلاق اجتماعية سامية

يتصرف بما يرضي الله وبما يأمرنا به في القرآن الكريم. وتظهر رحمة المؤمن الحقيقة من خلال تعامله بتلك التعاليم.

وتصف هذه الآية نموذج للأخلاقيات المليئة بالحب والشفقة والتضحيه:

﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفُحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٢)

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّا أُوتُوا وَلَا يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَّاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر : ٩)
 ﴿ وَالَّذِينَ آتَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾
 (الأنفال : ٧٤)

﴿ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَبَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَالَمِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَيِّلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦٠)

هذه الأخلاقيات الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون، تنبع من حبهم العميق لله تعالى. وأنهم شديدوا الورع والإخلاص لله فإنهم يتزمون بما أمرهم به في كتابه. فالمؤمنون يعطف كل منهم على الآخر ويقدمون لبعضهم البعض المساعدة دون انتظار مقابل أو حتى كلمة شكر. بل إن هدفهم الحقيقي هو كسب رضا الله بفعل الخيرات التي أمرهم بها والتي سيحاسبون عليها يوم القيمة. ويوضح الله لنا في القرآن أنه من لا يفعل تلك الخيرات مآلها جهنم وبئس المصير:

﴿ مَا سَلَكْتُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ ﴾ (المدثر : ٤٤ - ٤٢)

الذين عرّفوا على مدى قرون بطبيعتهم المتسامحة ومحبّتهم للأخرين، هم دائمًا الأكثر رحمة وعدلاً بين الناس. وكان بإمكان كل الجماعات العرقية أن تعيش بحرية وفقاً لتعاليمها الخاصة بها، رغم التعدد الكبير في التركيب الاجتماعي.

عندما يمارس الناس التسامح الحقيقي كما ذكر في القرآن فإنه ينشر جواً من الأمان والأمان في العالم كله. ويدرك القرآن هذه الحقيقة:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْنَى
وَبَنَى عَدَاؤَ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ﴾ (فصلت : ٣٤)

وصف الله المغفرة في القرآن بأنها أعلى منزلة، ويشير الذين يتصرفون بهذه الصفة بالقول:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى : ٤٠)

ووصف المؤمنين في آية أخرى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

ويوضح الله لنا في القرآن أن الإنسان قادر وحده هو الذي يستطيع أن يتسامح

مع من أخطأ في حقه:

﴿وَلَا تَرَالْ تَطْلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا فَاغْفُ عنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة : ١٣)

كل هذا يبين لنا أن تعاليم الإسلام للبشرية تملأ العالم بفضائل مثل السلام والرحمة والعدالة، أما البربرية التي تعرف بالإرهاب والتي تشغل العالم كله هذه الأيام، فهي من أفعال الجاهلين والمتعصبين وتتنافى تماماً مع تعاليم الإسلام المذكورة في القرآن، ومثل هؤلاء الناس ليس لهم صلة بالدين بأي شكل من الأشكال.

والحل هو أن نوضح التعاليم الحقيقية للإسلام لكي نفضح الوجه الحقيقي لهؤلاء الذين يمارسون العنف تحت ستار الدين. بمعنى آخر إن تعاليم القرآن، والتي لا تؤيد الإرهاب، هي الحل الحقيقي للتخلص من هذا الكابوس.

وأنسجام وعدالة أكثر مما نراه في أكثر الأمم تقدماً في وقتنا الحاضر.

الله يأمر بالغفو والمغفرة

يعتبر مبدأ العفو والمغفرة من أهم مبادئ الإسلام.

﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)

عندما نلقي نظرة على التاريخ، يمكننا أن نرى بوضوح أن المسلمين قد طبقوا هذا المبدأ العظيم من مبادئ الإسلام في حياتهم ومجتمعاتهم. وكما سنورد في الأقسام التالية من الكتاب، فالمسلمون ينشرون جوا من الحرية والتسامح في أي مكان يحلون به. تلك الحرية وذلك التسامح يوفران جوا من التعايش مع من يختلفون معهم في الدين واللغة والثقافة، وهذا ما يوفر الأمن والأمان لذلك المكان ولذلك المجتمع.

إن واحداً من أهم أسباب استمرار الخلافة العثمانية لقرون عديدة وتوسيع حكمها في بلاد كثيرة، هو مناخ التسامح والتفاهم الذي أوحده الإسلام. فالمسلمون



"في المجتمعات التي تطبق فيها مبادئ الإسلام، تجتمع الجماعات والكنائس معاً بسلام. هذا المنظر لثلاثة أماكن مقدسة بين مدى التسامح الذي غرسه الإسلام في النفوس، ويبيّن أيضاً العدل الذي يميز دين الإسلام"

أحكام الحرب في القرآن

طبقاً لما ورد في القرآن فإن الحرب أمر يضطر إليه اضطراراً :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾

ولا يجب أن نلجأ للحرب إلا في حالة الضرورة القصوى، ومع ذلك يجب أن يراعى فيها الجوانب الإنسانية والأخلاقية.

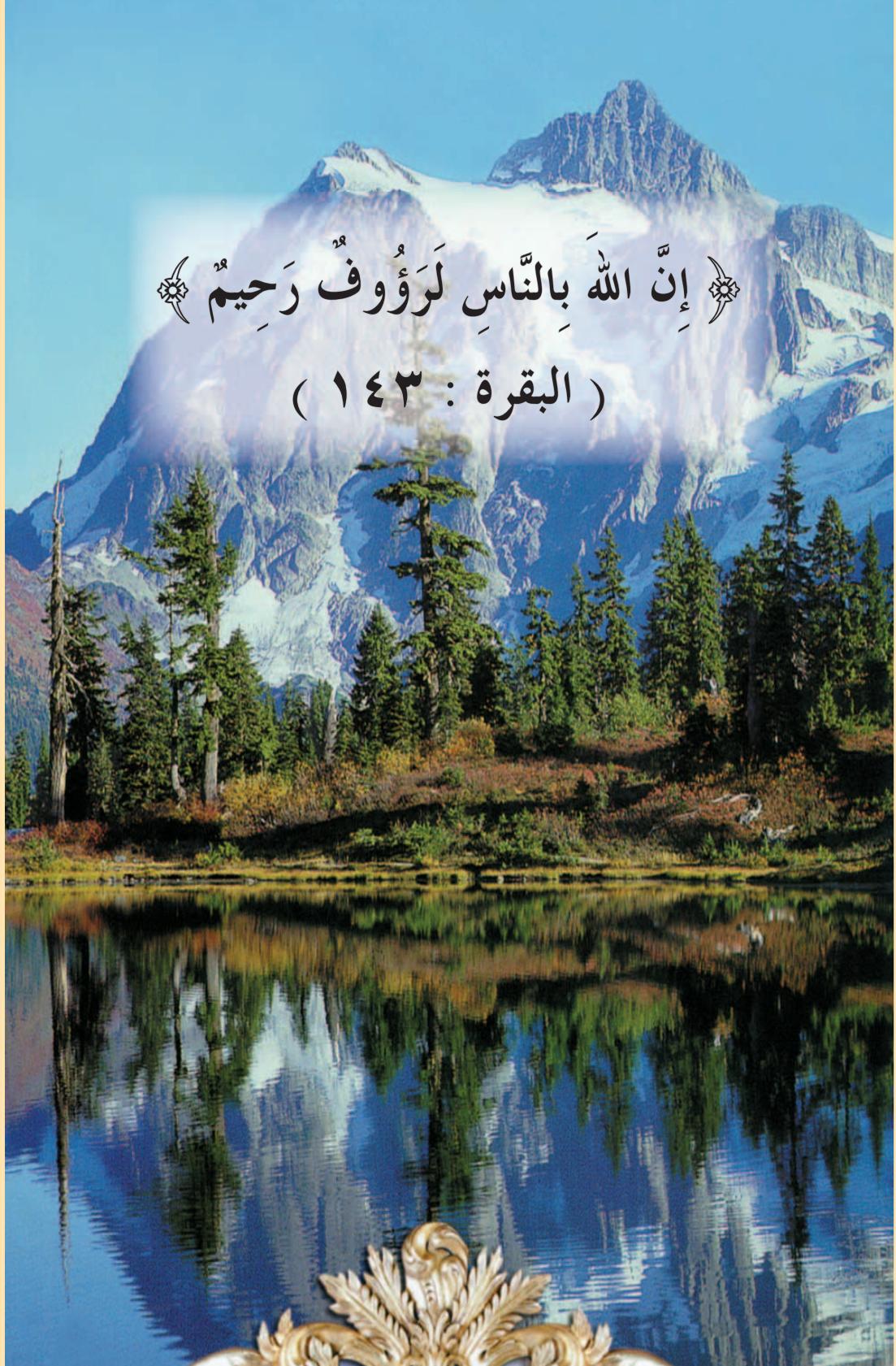
وتوضح هذه الآية أن الكافرين هم الذين يبدأون الحروب، ولكن الله عز وجل لا يريدها:

﴿ كُلُّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسِّعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ "﴾

(المائدة: ٦٤)

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة : ١٤٣)



أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﷺ (الحج : ٣٩ - ٤٠)

باختصار، أُذن لل المسلمين بشن الحرب لأنهم تعرضوا للاضطهاد والظلم. وفي آيات أخرى يحذر الله المسلمين من اللجوء إلى العداوة:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠)

بعد نزول هذه الآيات، وقعت عدة حروب بين المسلمين والمشركين. وعلى أية حال، لم يكن المسلمون في أي من هذه الحروب هم البادئون. وقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم بيئة اجتماعية آمنة لكل من المسلمين والمشركين على حد سواء عن طريق صلح الحديبية، وقد التزم فيه بجميع الشروط، غير أن المشركين هم الذين انتهكوا هذا الاتفاق وبدأوا بالاعتداء.

وتغيرت الأمور وكون المسلمين جيشاً عظيماً دخلوا به مكة دون إراقة للدماء. ولو أراد عليه الصلاة والسلام أن ينتقم من المشركين لاستطاع ولكنه عفا عنهم ولم يؤذ أحداً منهم وعاملهم بروح الصبر والرحمة.

يقول جون اسبوسيتو المستشرق الغربي، "عندما فتح محمد مكة تجنب الثار واستخدام السيف ضد أعدائه وأثر الرحمة والعفو"^٢

ونتيجة لموقف النبي عليه الصلاة والسلام تجاه المشركين، اعتنق الكثير منهم الإسلام بكمال حرثتهم. ولم يحدث هذا خلال فتح مكة فقط، بل في جميع المعارك والفتحات التي حدثت في وقت النبي صلى الله عليه وسلم حرص المسلمين كل الحرص على حماية حقوق الأبرياء والعزل.

دأب الرسول عليه الصلاة والسلام على حث المسلمين للتحلي بالرحمة والتسامح، وقد كان هو المثل والقدوة التي تحتذى. وقد خطب النبي عليه الصلاة والسلام في المسلمين الخارجين للحربياتلا : "اخرجوا باسم الله فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"^٣

الحل الوحيد. وينبغي عليهم ألا يبدأوا الحرب إلا دفاعا عن أنفسهم وعندما يصبح القتال هو البديل الوحيد:

﴿فَإِنْ اتَّهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة : ١٩٢)

عند النظر بتأمل دقيق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نلاحظ أن الحرب كانت لهدف الدفاع عن النفس فقط وفي الحالات التي لا يمكن تجنبها. استمر نزول القرآن علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمدة ٢٣ عاما، وخلال الثلاثة عشر عاما الأولى، عاش المسلمون في مكة أقلية تحت وطأة ظلم المشركين. وقد تعرض المسلمون في ذلك الوقت للتعذيب والظلم وحتى القتل، وسلبت أملاكهم وطردوا من ديارهم. وعلى الرغم من هذا تحمل المسلمون واستمروا في الدعوة إلى الله دون اللجوء إلى العنف.

وعندما تصاعد الاضطهاد بشكل لا يطاق، هاجر المسلمون إلى "يثرب" التي سميت بعد ذلك المدينة، حيث تمكنا من تأسيس مجتمعهم الخاص في بيئة من الود والحرية. وعندما لم يلتحقوا إلى الحرب ضد مشركي مكة إلا عندما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعداد لها:

﴿أُذْنَ لِلّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ

"مشهد حديث
للمدينة المنورة التي
هاجر إليها النبي
صلى الله عليه وسلم
وصحبه وأسسوا
فيها دولتهم"



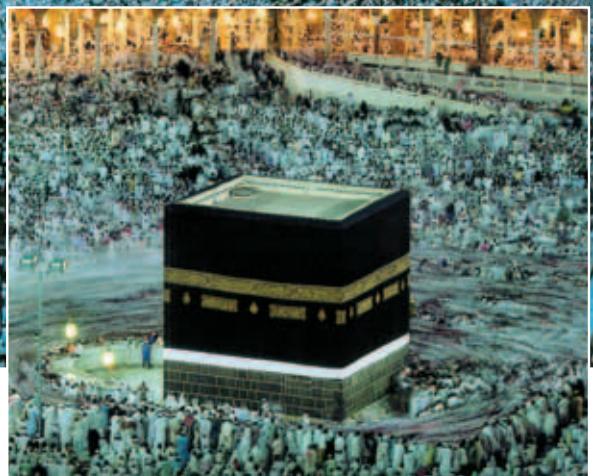
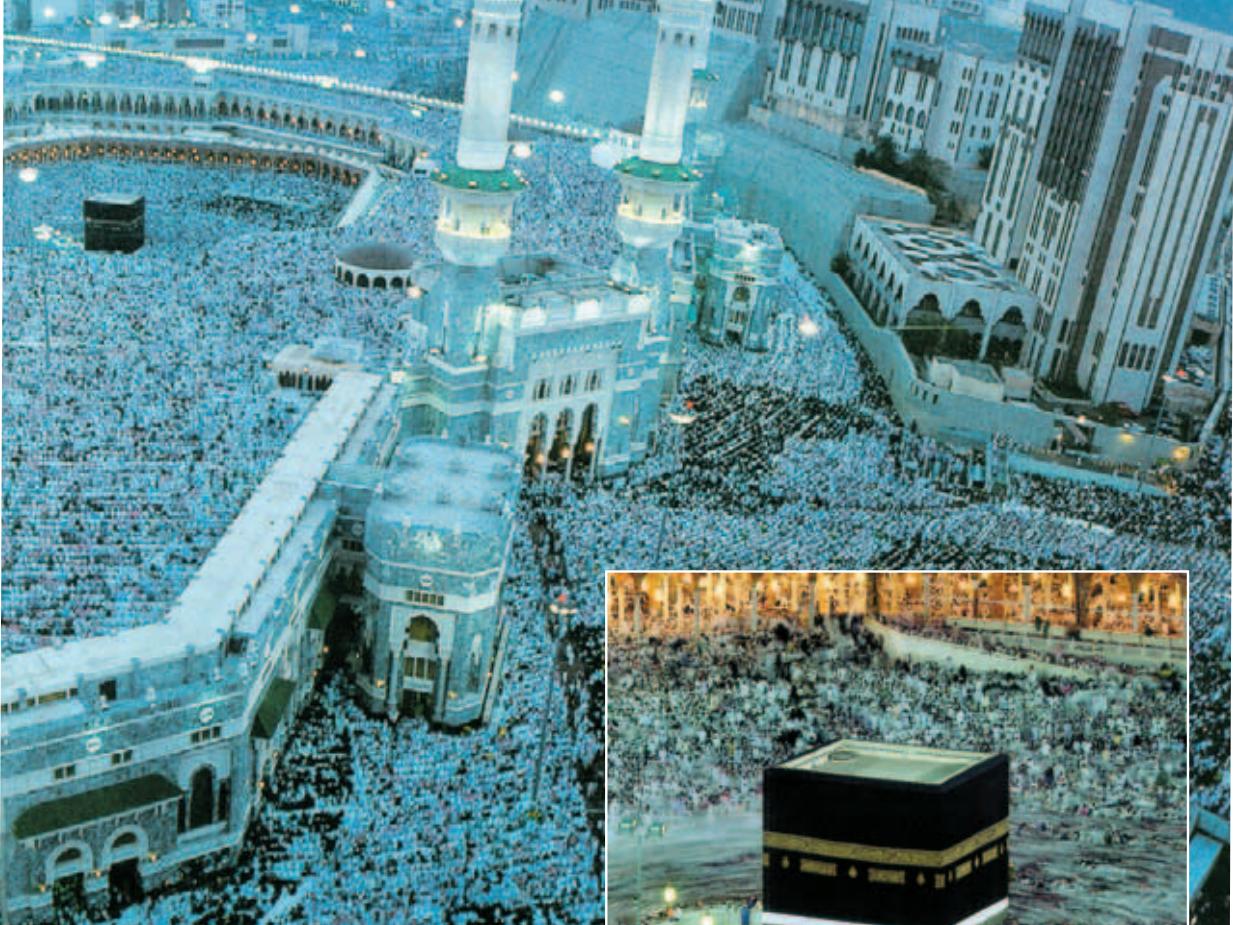


دِيَارُكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴿الْمُمْتَنَةٌ : ٩ - ٨﴾

توضح الآية السابقة كيف أن المسلم يعامل غير المسلم بالحسنى وفي الوقت نفسه عليه أن يتتجنب من يظهر العداوة للإسلام . وإذا تحولت تلك العداوة إلى حرب ضد المسلمين، فعلهم أن يدافعوا عن أنفسهم مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ على الأبعاد الإنسانية .

ف الإسلامي يحرم جميع أشكال العنف والبربرية، ويحذر الله المؤمنين من الوقوع في الظلم بسبب ثورة مشاعرهم ضد أعدائهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة : ٨)



"الكعبة التي يحج إليها حوالي مليوني مسلم كل عام من شتى أنحاء العالم ، هي رمز للسلام والتسامح وهماركتان أساسيان في الشريعة الإسلامية"

ووضع الرسول الأساسيةيات التي يجب أن يتبعها المسلم أثناء المعركة قائلاً:
 لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً
 ولا امرأة ولا تعقرنوا نخلاً وتحرقوه ولا تقطعنوا شجرة مشمرة ولا تذبحوا
 شاة ولا بقرة ولا بعيراً ولا أهل الصوامعٌ

تفق التعاليم التي ذكرها الله في القرآن الكريم مع سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تتميز بالمسالمه، حيث يأمر الله في القرآن المسلمين بمعاملة غير المسلمين بالرحمة والعدل :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ

"من قتل نفسه بحديدة فحديته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً " ٥

يبين لنا كل هذا أن الانتحار، أو تنفيذ هجمات انتحارية تتسبب في موت آلاف الأبرياء انتهاءً لكل مبادئ الإسلام وتعاليمه.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم إن قتل الإنسان نفسه من أكبر الكبائر، لذلك فإنه من المحال على من يؤمن بالله ويلتزم بتعاليم القرآن اقتراف مثل هذه الخطية. أما الذين يقدمون على الانتحار مثل هؤلاء لا يدركون المفاهيم الحقيقة للدين، وليس لديهم فكرة عن مبادئ وتعاليم القرآن، والأكثر من ذلك أنهم يفشلون في تحكيم عقولهم وضمائرهم بسبب وقوعهم تحت تأثير المعتقدات الملحدة أو اندفاعهم وراء مشاعر الكراهة والانتقام.



من أهم أسباب
أعمال العنف،
كالتغيرات وإشعال
الحرائق، هو خلق جو
من القلق والخوف
والرعب وعدم
الطمأنينة بين الناس"

مفهوم الجهاد

في سياق هذه المناقشة هناك مفهوم لا بد أن يوضح وهو "الجهاد". تأتي كلمة "جهاد" من "جهد"، إذن الجهاد في الإسلام يعني أن تقوم بجهد أو تكافح لعمل شيء معين. وقد أوضحت لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن "أعظم الجهاد جهاد النفس" ويعني هنا محاربة الإنسان لنزواته ورغباته الأنانية. ويوضح القرآن أنه يمكن أن يكون الجهاد على المستوى العقلي ضد أولئك الذين يضطهدون الناس ويظلمونهم وينتهكون حقوق الإنسان الشرعية. والغرض من هذا الجهاد هو تحقيق العدالة والسلام والمساواة.

فضلا عن هذه المعاني الأيدلوجية والروحية، فإن الكفاح على مستوى الإحساس الفيزيائي يسمى أيضا "جهادا". وعلى أية حال، وكما أوضحتنا سابقا، يجب أن يكون هذا الجهاد من أجل أهداف دفاعية فقط. ومن الظلم إطلاق مفهوم الجهاد على الأعمال الإرهابية ضد الأبرياء مما يشوّه المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

تحريم الانتحار

قضية أخرى ظهرت على السطح إثر الاعتداءات الأخيرة على الولايات المتحدة الأمريكية وهي "الهجمات الانتحارية". فبعض الناس الذين شوهدت أفكارهم عن الدين الإسلامي قد تأثروا تأثراً كبيراً بالتصريحات التي تدعى أن الإسلام يحizي الهجمات الانتحارية، على الرغم من أنه دين سلام يحرم قتل الإنسان لنفسه أو للآخرين. وقد وضح لنا الله عز وجل في القرآن الكريم أن الانتحار خطيبة وكبيرة من الكبائر:

وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴿النَّسَاءٌ : ٢٩﴾

ويحرم الإسلام قتل الإنسان نفسه مهما كانت الأسباب أو الدوافع.
ويحذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتكاب تلك المعصية قائلاً:

على الرسول عليه الصلاة والسلام. ولكن هذا لا يجعل من النبي عدوا لأهل الكتاب. فقد أجبر المسلمين على القتال دفاعا عن أنفسهم ولكنهم لم يقودوا حربا مقدسة ضد دين أعدائهم. وعندما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم "زيد ابن حارثة" على رأس جيش المسلمين لمحاربة المسيحيين، أوصاهم أن يحاربوا بشجاعة ولكن بإنسانية، وأن يتتجنبوا إيذاء القساوسة والرهبان والضعفاء والعاجزين من الناس عن القتال، وأن لا يقتلوا المدنيين ولا يقطعوا الزرع ولا يهدمو البيوت"^٦

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حرص الخليفة أبو بكر الصديق الذي تولى أمر المسلمين على تطبيق العدالة، حتى أن المسلمين عاشوا مع سكان البلاد التي فتحوها مع السكان الوفادين في أمن وسلام. فقد طالب أبو بكر الصديق من ولاهم على هذه البلاد أن يحكموا بالعدل والرحمة. وكانت كل هذه المواقف إذاعانا واتباعا لتعاليم القرآن. قبل الحملة الأولى على بلاد الشام وجه أبو بكر عدة وصايا لزيد بن أبي سفيان قائلا:

" وإنني لموصيك بعشر، لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مشمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمائكله ولا تحرقن نخلا ولا تغرنه ولا تغلل ولا تجبن"^٧

وقد كان عمر ابن الخطاب، الخليفة الثاني للمسلمين بعد أبي بكر، مشهورا بعدلته. وعقد العديد من الاتفاقيات مع السكان الأصليين للبلدان التي فتحها المسلمون. وكل واحدة من هذه الاتفاقيات تبرهن على عدالته وتسامحه. فعلى سبيل المثال، فقد ضمن الحماية للمسيحيين في القدس، ومنع هدم الكنائس ومنع المسلمين من الصلاة داخلها.

وقد ضمن عمر ابن الخطاب الحماية نفسها للمسيحيين في بيت لحم حيث أعطي وعدا للبطيريك صفرونيوس عام (٦٥٠ - ٦٦٠) بأن الكنائس لن تهدم أو تحول لدور أو جوامع . والرسالة التي كتبها البطيريك لأسقف بلاد الفرس توضح وشرح مدى تسامح ورحمة المسلمين بأهل الكتاب :



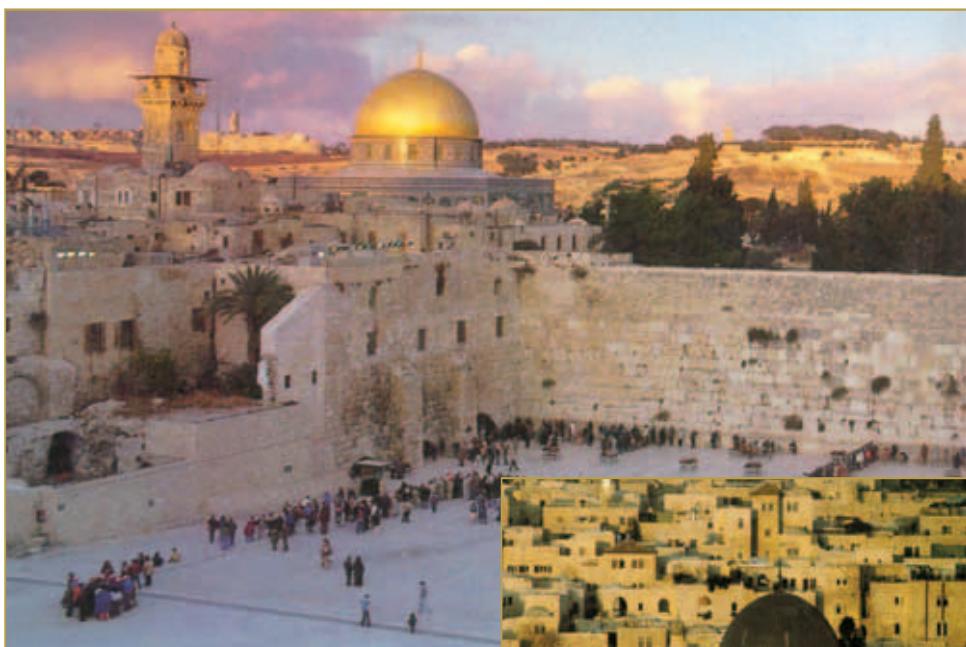
الرحمة والتسامح والإنسانية في تاريخ الإسلام

لكي نلخص الحقائق التي نقاشناها حتى الآن، يمكننا القول بأن الاتجاه السياسي للإسلام، بمعنى آخر، (القواعد والمبادئ الإسلامية المتعلقة بالأمور السياسية) هو اتجاه محب للسلم ومتعدل إلى أبعد الحدود. وقد اعترف العديد من علماء الأديان والمؤرخين غير المسلمين بهذه الحقيقة. وأحد هؤلاء المؤرخة البريطانية كارين ارمسترونج، وهي راهبة سابقة وخبيثة في تاريخ الشرق الأوسط. وفي كتابها "الحرب المقدسة" الذي يناقش تاريخ الأديان الثلاثة المقدسة، ذكرت هذه الحقائق:

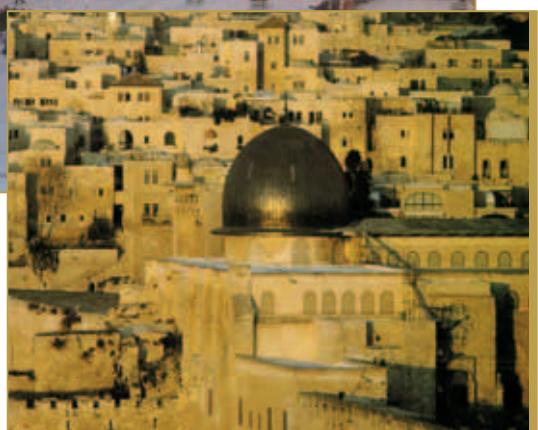
"يرجع أصل كلمة "إسلام" في اللغة العربية إلى كلمة "سلام"، ويرفض القرآن الحرب باعتبارها حالة تتعارض مع إرادة الله. فالإسلام لا يحير حرب الإبادة الجماعية، ولكن يعتبر الحرب في بعض الأحيان واجباً حتمياً للقضاء على الظلم والمعاناة. ومع ذلك يوضح القرآن الكريم أنه يجب أن تكون هذه الحرب محدودة وأن تدار بأسلوب إنساني بقدر الإمكان. وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقاتل ليس فقط المشركين في مكة ولكن أيضاً القبائل اليهودية في مكة والقبائل المسيحية في سوريا التي تحالفت مع اليهود وخططت للهجوم

البروفيسور "جون اسبوسيتو" ، أستاذ الدين وال العلاقات الدولية بجامعة جورجتاون ، شرح مدى التسامح الذي وجده اليهود والمسيحيون في ظل الحكم الإسلامي:

"برهنـت الجـيوش المـسلمة عـلـي قـدرـتها الهـائـلة عـلـي فـتحـ الـبـلـادـ وـالـحـكـمـ الفـعالـ وـأـنـهـاـ تـبـنيـ وـلـاـ تـدـمـرـ.ـ فـقـدـ اـحـتـلـواـ مـكـانـ الـحـكـامـ وـالـجـيـوشـ الـأـصـلـيـةـ لـلـبـلـدـانـ الـمـفـتوـحةـ مـعـ الـحـفـاظـ عـلـيـ الـكـثـيرـ مـنـ موـظـيفـهـمـ وـسـيـاسـتـهـمـ وـ ثـقـافـتـهـمـ.ـ وـفـيـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـنـاطـقـ الـمـفـتوـحةـ لـمـ يـتـحـاـوزـ الـأـمـرـ أـكـثـرـ مـنـ تـبـدـيلـ الـحـاـكـمـ مـنـ أـجـلـ تـهـدـيـةـ النـاسـ الـبـائـسـةـ وـالـثـائـرـةـ مـنـ الضـرـائـبـ الـتـيـ فـرـضـهـاـ هـؤـلـاءـ الـحـكـامـ خـالـلـ سـنـوـاتـ الـحـرـبـ الـفـارـسـيـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ.ـ وـخـالـلـ الـحـكـمـ إـلـاسـلـامـيـ كـانـ الـجـمـاعـاتـ الـمـحـلـيـةـ تـمـارـسـ حـيـاتـهـاـ وـشـئـونـهـاـ الـدـاخـلـيـةـ بـطـرـيقـهـاـ الـخـاصـةـ وـبـحـرـيـةـ تـامـةـ.ـ وـبـكـلـ



"القدس التي حكمها المسلمون لفترات طويلة من الزمن، تعاني الآن من الحرب والصراع بدلاً من الأمان والتسامح"



"إن العرب الذين وهبهم الله حكم العالم اليوم، لا يغضبون المسيحيين، بل يحترمون هذا الدين ويوقرون القساوسة والقديسين ويحمون الكنائس والأديرة ."^٨

توضح كل هذه الأمثلة الهمة تفهم المسلمين للمعنى الحقيقي للعدالة والتسامح . ومن أوامر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِظُّكُمْ بِإِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(النساء : ٥٨)

الراهب تايلور، واحد من أعضاء بعثة الكنيسة الإنجيلية، وصف في أحد خطاباته جمال المبادئ الإسلامية وأخلاقياتها قائلاً:

"لقد وضع الإسلام القواعد الأساسية للدين وهي وحدانية وعظمته الله الرحيم الذي يدعو لطاعته والتوبة والإيمان. وقد حدد مسئولية الإنسان التي سيحاسب عليها يوم الدين وهي أن يتبع عن ارتكاب المعاصي ويؤدي ما عليه من واجبات الصلاة والزكاة والصيام والصدقة، وأن يتتجنب الرياء والنفاق والجدال في الدين، وقد أعطى هذا الدين الأمل للبشرية وحدد الملامح الأساسية للطبيعة الإنسانية ."^٩

وقد كذب الباحثون الغربيون بقولهم بأن الإسلام انتشر بحد السيف في البلدان التي فتحها المسلمون بل أكدوا على عدالة وتسامح المسلمين في هذه البلاد، ومنهم الباحث الغربي "براون" الذي علق على هذه القضية قائلاً:

"هذه الفكرة الراسخة بأن المسلمين أحبروا الناس على اعتناق الإسلام بحد السيف ما هي إلا أفكار نشرها الكتاب المسيحيون "ويستمر "براون" قائلاً في كتابه "تطلعات الإسلام" إن الهدف الحقيقي وراء فتوحات المسلمين كان إងاء الإسلام . فالحكام الذين حكموا البلاد المسلمة على مدى التاريخ كانوا يعاملون أصحاب الديانات الأخرى بكل تسامح واحترام. وفي داخل حدود هذه الدول الإسلامية عاش كل من المسيحيين واليهود في أمان متمتعين بالحرية الكاملة "^{١٠}

التالية:

"الإحساس بالأمن في ظل الحكم الإسلامي جعل مسيحيي آسيا الصغرى يرحبون بحكم السلجوقية الأتراك المسلمين. وفي عهد "مايكيل الثامن" (١٢٦١ - ١٢٨٢) طلب الأهالي من الأتراك أخذ ملكية المدن الصغيرة وذلك هرباً من استبداد إمبراطورية، وعندما هاجر الأغنياء والفقراة إلى المناطق التي تقع تحت حكم وسيادة الأتراك المسلمين."^{١٣}

وقد تقرب مالك شاه، حاكم إمبراطورية السلجوقية خلال أوج ازدهارها من سكان البلاد المفتوحة بواسطة التسامح والرحمة، ولذلك فقد ذكروه وتحدثوا عنه بكل الحب والاحترام. ويشير جميع المؤرخين المحايدين في أبحاثهم إلى عدالة هذا الشاه وتسامحه. وقد امتلأت قلوب أهل الكتاب بالحب والود تجاه هذا الحاكم. ولهذا السبب فقد خضعت العديد من المدن لحكم الشاه مالك بإرادتها الحرة، وهذا ما يندر وقوعه في التاريخ.

وقد ذكر القس "اوedo دي ديوجيلاو" الذي شارك في الحملة الصليبية الثانية بصفته القس الخاص بلويس السابع، ذكر في مذكراته التعامل الذي أظهره المسلمون تجاه الآخرين بغض النظر عن الدين أو العقيدة.



"اندهش العديد من المسيحيين من التسامح والعطف الذي أظهروه المسلمون حتى في ساحة المعركة. حتى انهم أظهروا إعجابهم بسيرتهم. ونرى في هذه الصورة تدشين الحملة الصليبية الثانية بواسطة لويس السابع".

المعاني فقد وجد السكان الأصليون مرونة وتسامحا من الحكم المسلمين لم يعهدوهما في البيزنطيين أو الفرس. أما الجماعات الدينية فكانت تمارس عقائدها بمتنهى الحرية وقد حكمها زعمائها بقوانينهم الخاصة والمتعلقة بأمور الحياة مثل الزواج والطلاق والميراث . وفي المقابل طلب منهم دفع الجزية كضريبة لحمايتهم والدفاع عنهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية . وقد نتج عن ذلك ضرائب أقل ، وحكم ذاتي محلي، ومزيدا من الحرية الدينية لليهود والأهالي والمسحيين، وحكمهم الساميون الذين هم أقرب إليهم من حيث اللغة والثقافة أكثر من الإغريق، وهم نخبة كاثوليك بيزنطة . اضطهد الأرثوذكس المسيحيون الأقباط و معظم الكنائس المسيحية باعتبارهم زنادقة. لهذا السبب ساعد كل من المسيحيين واليهود الجيوش المهاجمة باعتبارها أقل ظلما من سادتهم الأباطرة. وحقيقة فقد كانت تلك الفتوحات قبلة إسلامية في المناطق المنيعة المحصنة .^{١١}

كفل الإسلام حقوق النساء، تلك الفئة التي انتهكت حقوقها كثيرا قبل الإسلام. وقد علق "بيرnard لويس" ، وهو واحد من أهم الخبراء الغربيين في الشرق الأوسط ، قائلا :

"وجه عام، تحسنت أحوال المرأة بظهور الإسلام وانتشاره في البلدان العربية . حيث وهبهم حقوق الملكية إلى جانب بعض الحقوق الأخرى. وكفل لهم الحماية من سوء معاملة الأزواج وأولياء الأمور. وقد منع الإسلام وأد البنات الذي كان منتشرًا في جزيرة العرب عند المشركيين . ومن ناحية أخرى لم يتحسين وضع النساء في نواحي أخرى منذ أن فقدت رسالة الإسلام دوافعها وتأثرت بالعادات والتقاليد الاجتماعية التي وضعها البشر".^{١٢}

"تميز عهد السلامة الأتراك وعهد العثمانيين بالعدل والتسامح، وكان للإسلام الفضل في ذلك. يوضح الباحث البريطاني "توماس أرنولد" في كتابه "انتشار الإسلام في العالم" رغبة المسيحيين في خضوعهم لحكم السلامة الأتراك للأسباب



"انتهي حكم المسلمين في إسبانيا عام ١٤٩٢ عندما دخلت جيوش الملك فرناند والملكة إيزابيلا إلى غرناطة. وتوضح هذه الصورة استسلام المدينة".

اعتناق المسيحية وأعلنوا الحرب على المسلمين واضطهدوا اليهود أيضاً.
ونتيجة لذلك فقد أزيح الحكم الإسلامي من آخر منطقة وهي غرناطة في جنوب إسبانيا عام ١٤٩٢ م ، و تعرض المسلمين لمذابح مروعة ونفي اليهود الذين رفضوا تغيير دينهم.

طلب مجموعة من اليهود المشردين بلا وطن اللجوء إلى الإمبراطورية العثمانية، فسمحت لهم بذلك. وقد أحضر الأسطول العثماني بقيادة كمال رئيس اليهود المنفيين والمسلمين الذين تعرضوا للمذابح إلى الأراضي العثمانية.

وقد ذكر التاريخ أن السلطان بايزيد الثاني من أكثر حكام آل عثمان تقوى وورعا. وفي ربيع عام ١٤٩٢ استقر اليهود الذين ظلموا وطردوا من إسبانيا في أجزاء من الدولة مثل "أدرنة" و "سالوينكا" التي توجد حالياً في اليونان. والغالبية العظمى من الخمسة وعشرين ألف يهودي الذين يعيشون في تركيا الآن هم أحفاد هؤلاء اليهود الأسبان. وقد تكيفوا بدينيهم وعادتهم التي جلبوها معهم من إسبانيا منذ حوالي ٥٠٠ عام مع واقع الحياة التركية، ومارسوا العبادة بكل حرية وأمان، ولهم مدارسهم ومستشفياتهم وجمعياتهم ودور العجزة الخاصة بهم. ومنهم أيضاً التجار

واستنادا إلى مذكرات "أودو دي ديو جيلو"، كتب توماس أرنولد: "أما حالة الناجين من الحرب فقد كانت بائسة جدا. وتأثر المسلمين لحالتهم وأظهروا نحوهم الرحمة والشفقة. فقد خدموا مرضاهم وأطعموا الفقراء والمساكين منهم وعاملوهم بتسامح وكرم. وعندما حصل المسلمون على الأموال التي استولى عليها اليونانيون من المهاجرين بالقهر والخداع وزعوها على المحتاجين. وما يثير العجب التناقض في المعاملة، فقد عامل المسلمون هؤلاء المهاجرين معاملة ملؤها الرحمة والشفقة، بينما لم يجدوا من إخوانهم في الدين سوى القسوة والغلظة. فاليونانيون هم الذين أجبروهم على العمل بالقوة وعدبوهم واستولوا حتى على القليل الذي يملكونه. وهكذا اعتنق العديد من هؤلاء المهاجرين الإسلام بكامل حرثتهم وإرادتهم".

ويقول "أودو دي ديو جيلو" في مذكراته: "نفروا من إخوانهم في الدين الذين أظهروا القسوة نحوهم وانضموا إلى الكفرة الذين عاملوهم بالرحمة (يقصد المسلمين). وكما سمعنا فإن أكثر من ثلاثة آلاف شخص لحقوا بالأتراء عندما تراجعوا^{١٤}".

تكشف أقوال واعترافات المؤرخين أخلاق الحكام المسلمين الذين تبنوا المبادئ الأخلاقية الحقيقية للإسلام وحكموا بالتسامح والرحمة والعدل. وبنفس الطريقة، فقد ذكر التاريخ الدولة العثمانية التي حكمت في ثلاث قارات لعدة قرون، وهناك العديد من شواهد التسامح والرحمة في حكمهم.

إن الطريقة التي استقبل بها اليهود في الدولة العثمانية خلال حكم السلطان بايزيد الثاني، وذلك بعد تعرضهم للذبح والنفي على يد الملوك الكاثوليك في إسبانيا والبرتغال، هي أحسن مثال على رحمة الإسلام وعظمته.

فقد تعرض اليهود الذين عاشوا في ظل الحكم الإسباني في الأندلس في فترات سابقة إلى ظلم لا يتحمل من الملوك الكاثوليك الذين حكموا مناطق عديدة من إسبانيا. بينما كان من الممكن أن يعيش كل من المسلمين والمسيحيين واليهود جنبا إلى جنب في سلام، وبالرغم من ذلك فقد أجبر الملوك الكاثوليك السكان على



"كان فتح السلطان
محمد الفاتح
لاستomial عهدا جديدا
يتميز بالحرية لليهود
واليسوعيين الذين
 تعرضوا للظلم عدة
قرؤن على يد الحكام
الرومان والبيزنطيين."

التاريخ . بل إنهم رسخوا قيم السلام أينما ذهبوا مع كل البلاد والعوائد وسلكوا سلوكا طيبا تجاه كل الناس، والتزموا بقول الله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾
(النساء : ٣٦)

وباختصار فإن الصدقة والأخوة والسلام والحب هي القواعد الأساسية للمبادئ والأخلاقيات القرآنية التي يحاول المسلمون التمسك بها.

(لمزيد من التفاصيل انظر: كتاب هارون يحيى "العدل والتسامح في القرآن")

"منح السلطان محمد
الفاتح العديد من
الامتيازات للبطيريك،
فقد تمعن بالاستقلال
لأول مرة في التاريخ
وذلك تحت الحكم
التركي. ونرى في
الصورة السلطان
محمد الفاتح يستقبل
البطيريك."





"كان السلطان بايزيد الثاني الحاكم المسلم قد رحب باليهود الذين هربوا من الاضطهاد الأسباني وكفل لهم حرية العبادة على الأرض المسلمة".

ورجال الأعمال ويوجد من يمثلهم في كل مهنة بدأية سواء في المجالات التقنية أو في الدوائر الثقافية .

عاشت الجماعات اليهودية في خوف من الهجمات ضد السامية في البلاد الأوروبية ولعدة قرون، بينما عاشوا في تركيا بأمن وسلام . ويكفي هذا المثال وحده لإثبات التسامح والعدل الذي أوصى بهما الإسلام.

الرحمة والتسامح والأخلاق الكريمة التي أظهرها السلطان بايزيد الثاني تميز جميع السلاطين العثمانيين. فعندما فتح السلطان محمد الفاتح القدسية سمح لليهود والمسيحيين بالعيش بحرية تامة.

كتب "اندر ميكول" صاحب العديد من الأعمال القيمة، عن فضائل الإسلام
قائلاً:

"وقد عاشت الجماعات المسيحية تحت حكم عادل لم تتمتع به خلال الحكم البيزنطي اللاتيني، بل إنهم تعرضوا للاضطهاد على يد إخوانهم. وفي المقابل أصبحت الإمبراطورية العثمانية وخاصة اسطنبول مأوى لليهود الأسبان المضطهددين. ولم يجبر الناس على اعتناق الإسلام، ولكن انتشار الإسلام جاء نتيجة طبيعية للتطورات الاجتماعية ."^{١٥}

وكما يتضح من هذه الحقائق، لم يكن المسلمين ظالمين في أي فترة من فترات

الوجه الحقيقي للإرهابيين الذين يتصرفون باسم الدين

تكشف كل هذه الأمثلة أن أعمال العنف المنظمة ضد الأبرياء لا تتفق مع الإسلام أبداً وأنه من غير المعقول أن يرتكب أي مسلم مثل هذه الجرائم. وعلى العكس فالمسلمون مسؤولون عن منع هؤلاء المخربين وإزالة الشر من الأرض وإحلال السلام والأمن لكل الناس في كل مكان.

وليس من اللائق أن تتحدث عن "الإرهاب المسيحي" أو "الإرهاب اليهودي" أو "الإرهاب الإسلامي". فبالتأكيد إذا بحثنا في خلفية هؤلاء الإرهابيين سنجد أن الإرهاب ظاهرة اجتماعية وليس دينية.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ
لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام : ٨٢)



"في القدس وتحت الحكم الإسلامي عاش كل من المسلمين وال المسيحيين واليهود في سلام كامل. وعندما احتل الصليبيون القدس قاموا بالعديد من المذابح المروعة. وكلما احتلوا المزيد من المدن، استمروا في قتل المدنيين أينما ذهبوا".

(استنبول حاليا) وهي مدينة مسيحية، وسرقوا الأشياء الذهبية من الكائس .
بالطبع، كانت كل هذه الهمجية ضد الديانة المسيحية، فاليسوعية في الإنجيل هي "رسالة محبة". وورد في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام قال لأتباعه :
﴿احبوا أعداءكم، باركوا لاعيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل
الذين يسيئون إليكم ويطردونكم﴾ (متى، ٤٢ : ٥)

الصلبيون : بربور يدنسون دينهم

تشوه أحياناً الرسالة الحقيقة لدين أو نظام عقائدي من قبل تابعيه أنفسهم. فالصلبيون ، الذين مثلوا حلقة مظلمة في التاريخ المسيحي ، مثال لهذا النوع من التشويه.

الصلبيون هم مسيحيون أوروبيون بدأوا في نهاية القرن الحادى عشر فى إرسال بعثات لاستعادة الأرض المقدسة من المسلمين (فلسطين وما حولها) ، وادعوا أن حملتهم لهدف ديني ، وبالرغم من ذلك فقد خربوا كل شبر من الأرض نزلوا به ونشروا الخوف أينما ذهبوا. اعتدوا على المدنيين الذين وحدوهم في طريقهم مقتلوهم وسلبوا العديد من القرى والمدن ، وأصبح دخولهم للقدس ، حيث عاش المسلمون واليهود والمسيحيون واليهود في سلام تحت الحكم الإسلامي ، مشهداً مروعاً ومنظراً يثير الشعراز ، كما ذبحوا المسلمين واليهود في المدينة بلا رحمة.

وقال أحد المؤرخين واصفاً ما حدث: "قتلوا كل من وحدوه من العرب والأتراء... رجالاً ونساء" ^{١٦}

يمدح أحد الصلبيين ويدعى "رايموند" هذه الأفعال قائلاً :
"رأينا مشاهد رائعة، بعض رجالنا (وكان هذا الأكثر رحمة) قطعوا رؤوس أعدائهم، وبعض الآخر ضربوهم بالسهام وهكذا أسقطوا من أبراجهم، وآخرون عذبوهم أكثر بإلقاءهم في النار. وكنا نرى في شوارع المدينة أكوام الأشلاء والجثث الممزقة. ولكي تستطيع السير في أحد الطرقات كان لابد من السير فوق جثث الرجال والخيول. ولكن كل هذه الأمور لا تذكر إذا ما قورنت بما حدث في هيكل سليمان، حيث كانت تقام الشعائر الدينية، لقد غرق الناس في الدماء حتى غطت الأقدام وبلغت إلى لجم الخيول . ^{١٧}

وفي خلال يومين، قتل الجيش الصليبي حوالي أربعة آلاف مسلم بوحشية وبربرية لا مثيل لها. ^{١٨}

خلال الحملة الصليبية الرابعة زادت همجية الصلبيين حيث سلبوا القدسية

إن مثال الصليبيين دليل على ظاهرة عامة، فالأكثر اتباعاً لأفكار غير متحضررة وجاهرة ثقافياً هم الأكثر ميلاً للعنف. وهذا أيضاً دليل آخر على أن الدين لا علاقة له بالعنف. فالحركات الشيوعية في كل مكان في العالم تمثل إلى العنف. وما زال هناك أقوام آخرون يتميزون بالوحشية والعنف وسفك الدماء مثل الخمير الحمر في كمبوديا، وذلك لأنهم على درجة كبيرة من الجهل.

طبيعة البدو في القرآن

منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كان البناء الاجتماعي في بلاد العرب يتكون من مجتمعين، سكان المدن والبدو (عرب الصحراء). و ساد تراث مركب ومتحضر في بلاد العرب. وقد ربطت العلاقات التجارية بين المدن والعالم الخارجي مما ساهم في تحسين سلوك عرب المدن، فقد اكتسبوا قيمًا جمالية رفيعة وتمتعوا بالحس الأدبي وخاصة الشعر. من ناحية أخرى عاش عرب الصحراء في قبائل بدوية منتشرة في البدية وغفلوا عن الفنون والأداب وتكونت لديهم شخصية غير متطرفة.

وظهر الإسلام وانتشر في مكة المكرمة، وهي أهم المدن في الجزيرة العربية. وبعدها انتشر إلى باقي شبه الجزيرة واعتنقه كل قبائل بلاد العرب . وكانت من بين هذه القبائل عرب الصحراء الذين تميزوا منطويين على أنفسهم، فيبيتهم الفقرة وبساطة تفكيرهم منعهم من إدراك نبل روح الإسلام وعمقه، يقول الله تعالى عنهم:

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنَفَاقًا وَأَجْدُرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيهِمْ حَكِيمٌ﴾ (التوبه : ٩٧)

إن عرب الصحراء، تلك الفئة الاجتماعية التي كانت "الأسوأ في الجحود والنفاق" والأكثر عصياناً لأوامر الله، أصبحت جزءاً من العالم الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وأصبحت بعد ذلك مصدر المشاكل للدعوة الإسلامية . وأوضح مثال على ذلك طائفة (الخوارج) التي ظهرت من بين البدو.

وجاء في إنجيل لوقا قال: عيسى عليه
الإسلام

﴿ من ضربك على خدك الأيمن فأدر له
خدك الأيسر ﴾ (لوقا ، ٢٩ : ٦)

ولا يوجد في أي نص من الإنجيل
إشارة إلى شرعية العنف. فمن المستحيل
تصور قتل الأبرياء، ولا نجد هذه الكلمة في
الإنجيل إلا في قصة الملك هيرودس الذي
حاول قتل عيسى وهو رضيع.

إذا كانت المسيحية ديناً يرتكز على
المحبة وليس العنف، فكيف للصلبيين

المسيحيين أن يقوموا بأكثر الأعمال عنفاً في التاريخ؟ ربما يرجع السبب الرئيسي
إلى خداع قادة الصليبيين للناس البسطاء الذين أحسن ما يوصفون به أنهم "الغوغاء"
أو "الرعايا". هذه المجموعات التي ربما لم تعرف شيئاً عن دينها، والتي من
المحتمل أنها لم تقرأ أو حتى لم تر الإنجيل ولو مرة واحدة في حياتها. قادت تلك
المجموعات هجمات تحت شعار "حرب الصليب" التي تمثل إرادة الله.

هذا الاحتيال على الدين شجع الكثيرين على ارتكاب الجرائم التي حرمتها الديانات
بشكل كامل.

ومن الجدير بالذكر أنه في تلك الفترة، تمتع المسيحيون الشرقيون، كأهل
بيزنطية على سبيل المثال بقيم أكثر إنسانية من المسيحيين الغربيين الذين كانوا بعيدين
كل البعد عن ثقافتهم. فقد استطاع المسيحيون الأرثوذكس العيش مع المسلمين في
سلام سواء قبل الغزوات الصليبية أو بعدها.

يقول المعلق تيري جونيس في إذاعة الـ بي بي سي : "بانسحاب الصليبيين من
الشرق الأوسط عادت الحياة الهدئة من جديد واستطاع أصحاب الديانات التوحيدية
الثلاث التعايش معاً في سلام . ١٩"



"في الثاني عشر من سبتمبر عام ١٢٠٤
دخل الصليبيون القسطنطينية، وكان يسكنها
المسيحيون وطردوهم ونهبوا المدينة،
وسرقوا الذهب الذي كان موجوداً في
الكنائس.".

هدف الإرهابي الوحيد أن يدمّر بلا رحمة

يُعرف كُلٌّ من مايكل باكيونين وتلميذه نيتاشايف (وهما من زعماء الثورة الروسية) الإرهابي الحقيقي بالقول:

"الفعل الحقيقي للثوري ليس فقط بالكلمات ولكن بالأفعال، وشن الحرب على قوانين المجتمع الموجودة وكل ما يسمى بالعالم المتحضر بقوانيئنه وأخلاقياته وعاداته. والثوري شديد التمسك بمبادئه، وهو لا يعرف إلا شيئاً واحداً فقط وهو التدمير" نشر هذا المقال بصحفة الإنذار، من كتاب باكيونين (أساس الثورة الاجتماعية)، ٢٦ ديسمبر ١٨٨٥، ص.^٨

وكما نفهم من كلمات باكيونين ونيتشايف، فإن الإرهابيين هم أنساب قطعوا علاقاتهم مع جميع الأعراف المادية والروحية وهم يرفضون كل القيم الأخلاقية، وينظرون إليها على أنها عائق أمام تحقيق أهدافهم.

وقال باكيونين أيضاً: "يكون الثوري مشغولاً ليله ونهاره بالتفكير في شيء واحد وهو الدمار بدمار بلا رحمة أو هوادة. ولتحقيق هذا الهدف يجب أن يتوقع الشائر الموت في أية لحظة وأن يكون على أهمية الاستعداد لقتل أي إنسان يحاول إحباط أهدافه".

ويصف ما يجب أن يكون عليه الإرهابي في كتابه "أساس الثورة الاجتماعية": "يجب أن يكون الثوري صارماً مع نفسه ومع الآخرين، ويجب أن يقمع كل مشاعر الضعف في علاقات الحب والصداقة والودة وأن يولع فقط بالعمل الثوري".

تعرف هذه الكلمات الوجه المظلم للإرهابي وتوضح مخالفته التامة للإسلام الذي يؤكّد على قيم السلام والتسامح والمحبة. وفي هذه الآية، يوضح الله عز وجل أن الإسلام هو المنقذ الحقيقي للإنسانية وأن

اتباع نزوات الحرب والنزاع هي اتباع لخطوات الشيطان:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أُدْخُلُوا فِي السَّلْمَ كَافَةً وَلَا تَتَبَيَّنُوا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

(البقرة : ٢٠٨)



الهمجية والتعصب هي السمات التي تميز هذه الفئة المتطرفة التي سميت بـ "الخوارج" أو الثوار لأنهم ابتعدوا بشدة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهوئاء الخوارج الذين كانت معرفتهم بالإسلام وفضائله وأخلاق القرآن معرفة منقوصة، شنوا حربا ضد جميع المسلمين الآخرين استنادا إلى بعض الآيات القرآنية التي فسروها تفسيرا خاطئا. وعلاوة على ذلك فقد ارتكبوا أبغض أعمال الإرهاب واغتالوا الإمام علي كرم الله وجهه أحد أقرب المقربين للرسول عليه الصلاة والسلام، وقد وصف بأنه "باب مدينة العلم".

وظهرت فيما بعد طائفة أخرى سميت بـ "الشيعة"، وذلك نتيجة للجهل والتعصب وعدم الفهم المعمق لجوهر الإسلام مما جعلهم أسهل تأثرا بالوعود والشعارات الداعية للحرب.

بمعنى آخر، كما حرف الصليبيون وأساؤوا فهم المسيحية وحولوها إلى تعاليم للعنف، كذلك ظهرت بعض الجماعات المنحرفة في العالم الإسلامي أساءت فهم الإسلام ولجأت إلى العنف. والصفة المشتركة بين الصليبيين وهذه الجماعات هي "الطبيعة البدوية". ولذلك فقد اتصفوا بالجهل وعدم النضج وعدم الفهم لجوهر الدين الحقيقي. ولذا فلحوظهم للعنف ناتج عن جهلهم وعدم فهمهم لدينهم. ولذلك فإن تنفيذ الأعمال الإرهابية ضد مدنيين أبرياء في دول أخرى يزعم أنها تمثل (البلاد الظالمة في العالم) لا يتفق والإسلام في شيء.



"في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان البدو قبائل منتقلة في الصحراء. وقد ورثتهم هذه الحياة الصعبة التي عاشهها نوعا من الثقافات الجافة والطبيعة القاسية".



أحد أسباب الإرهاب : تعصب العالم الثالث

تساعدنا مثل هذه الأمثلة من التاريخ على فهم أفضل لهذه الظاهرة الحالية، التي تسمى "الإرهاب الإسلامي" والتي تحتل الأولوية في الأجندة العالمية خلال هذه الأيام . وذلك لأن الذين ينفذون تلك الأعمال الإرهابية، يفعلونها باسم الدين، ومن يدعمونها يمثلون فئة قليلة في العالم الإسلامي. وكما ذكرنا في الحديث عن البدو سابقا فإن الإسلام في حد ذاته ليس هو السبب. فالذين يفشلون في فهم جوهر الدين الذي يدعو في الحقيقة إلى السلام والعدالة، يجعلونه أداة للعنف ، والسبب في هذا وبكل بساطة هو الظروف الاجتماعية والتربية الثقافية. وأصل هذه البربرية التي تسمى "تعصب العالم الثالث" هو بعض التصرفات غير المسئولة لأشخاص يتجردون من حب البشر.

وفي الحقيقة، تعرض المسلمين في خلال القرون القليلة الماضية وفي كل مكان من العالم للعنف من قبل الجهات الغربية وحلفائها . وقد دعمت الدول الأوروبية الاستعمارية سياسة الاستعمار الظالم في الوطن العربي (مثل إسرائيل) والتي يعاني منها كل المسلمين . أما بالنسبة للمسلمين فإن عدم اللجوء للعنف كأسلوب للرد هو ما دعاهم الله إليه في القرآن الكريم :

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْيَنُكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤)

ومما لا شك فيه أن للمسلمين الحق الشرعي في الرد على هذا العدوان. وعلى أية حال لا يجب أن تتحول ردود الفعل إلى كراهية عمياً أو عداوة ظالمة. ويحذر الله من ذلك قائلا :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢)

التأثير الجماعي للإرهاب

ومما يميز الإرهابيين أيضاً أنهم يتصرفون في شكل جماعات، وهذا ما يترتب عليه تجاهل الأفكار الفردية والاختيارات الشخصية للأفراد الذين يوجهون نحو هدف واحد. هؤلاء الذين يتصرفون في إطار الروح الجماعية، ربما يفعلون أشياء لا تقبلها عقولهم ويرتكبون أفعالاً بغير إرادتهم ولاوعيهم. ففي العديد من بلدان العالم، تكون جماعات الإرهاب من أشخاص جهله أغبياء ينفعلون بهستيريا الشعارات ونداءات الحرب التي تطلق في المجتمعات الحاشدة حتى بدون أن يعرفوا ماذا يفعلون ولماذا يفعلونه، وهكذا وبالتدريج يشتراكون مع مجموعات في ارتکاب أعمال وحشية.

وفي لحظة واحدة يتحول هؤلاء الأشخاص إلى قتلة تلطخ أياديهم الدماء، وإلى إرهابيين قادرين على ارتكاب أفعال لا إنسانية. ربما يظهر على مثل هذا الشخص الهدوء والسكينة عندما يكون وحيداً، ولكن إذا ما انضم إلى أحد الجماعات الإرهابية يصبح قادراً على القتل وافتعال الحرائق دون سبب ظاهر.

تظهر هذه الأعراض على الأشخاص الذين يرغبون في التخلص من حياتهم لسبب شخصي، وأغلب هؤلاء الذين يشاركون في أعمال العنف، تكون إرادتهم وضيائدهم ضعيفة، وي SACQون كالاغنام تحت تأثير هذه المجموعات. وهكذا يستبدلون الإحساس والشعور الطيب بكراهية مفرطة وميل نحو العنف والعدوان.

ومثل هؤلاء يمكن التأثير عليهم وإثارتهم بسهولة وهم لا يعترفون بأي قيود يضعها القانون.

أشار القرآن الكريم إلى خطأ الواقع في الانحراف الجماعي ووضّح أنه يجب على الإنسان أن يتصرف طبقاً لإرادته وبوعيه الكامل :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾

(الإسراء : ٣٦)

الغريب في الخوف والألم للمجتمع هو نوع من أنواع الإرهاب

واحدة من أهم خصائص الإرهاب هي أنه يختار أهدافه بشكل عشوائي. ومن أهم أسباب انتشار الخوف هي أن الإرهاب يتخذ قراره دون أن يميز أهدافه، حتى لا يشعر أحد بأنه آمن. إذا ما توقع الناس أنهم أهداف محتملة وبلا ذنب، فإن أحدا لن يشعر بالأمان أو البعض عن هؤلاء الإرهابيين. وهؤلاء الذين يعتبرن هدفا محتملا لا يستطيعون حماية أنفسهم، حيث أن الإرهابيين يتصرفون طبقا لمفاهيمهم الخاصة، ويختارون المكان والزمان بما يناسبهم. مثل هذه الأفعال تكون بشكل اعتباطي وغير متوقع في المجتمع.



"تهاجم المنظمات الإرهابية أهدافها بشكل عشوائي مما يعني قتل الأبرياء وجرحهم. مثال على ذلك الهجوم بغاز الأعصاب في مترو طوكيو في ٢٠ مارس ١٩٩٥"

ومما يستحق الذكر أننا لا يمكن أن نحمل كل الدول والمجتمعات الغربية ووزر العنف والظلم الذي يتعرض له المسلمين. وفي الحقيقة، إن الفلسفات والمعتقدات المادية الملحدة التي سادت بصفة رئيسية في القرن التاسع عشر هي المسئول الأول عن تلك الأعمال المخزنة. فالسياسة الاستعمارية الأوروبية لم تنشأ من المسيحية بل على العكس تماماً فإن الحركات المعادية للدين التي تعارض القيم المسيحية هي التي إلى تلك السياسة الاستعمارية. وتعتبر أيدلوجية دارون الاجتماعية السبب الرئيسي للوحشية التي سادت في القرن التاسع عشر. وما زالت توجد في الغرب حتى اليوم القسوة ومحاربة القيم جنباً إلى جنب مع الثقافة التي تحكمها المسالمة والعدل التي تستمد جذورها من المسيحية. وفي الواقع الأمر فالخلاف الرئيسي ليس بين الغرب والإسلام، بل على النقيض مما هو سائد، فالخلاف هو بين مسيحيي الغرب والمسلمين من ناحية والذين يعارضون الدين من ناحية أخرى مثل "الماديين، والملحدين، والداروينيين".

وهناك نقطة أخرى جديرة بالذكر وهي أن التعصب في العالم الثالث لا يرتبط بالإسلام، فحتى أوقات قريبة رأينا هذا التعصب مرتبًا بالأيديولوجية الشيوعية. وكما هو معروف فقد نفذت العديد من أعمال العنف المعادية للغرب في الأعوام ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ وقد دعمتها المنظمات الشيوعية السوفيتية. ونتيجة لانهيار الشيوعية في العديد من المجتمعات التي كانت تتبناها، حولت تلك المجتمعات اهتمامها إلى الإسلام. وهذا العنف الذي ارتكب باسم الدين والذي صاغت أدبياته الاتجاهات الشيوعية السابقة لتتفق بعض الشيء مع مفاهيم ونصوص الإسلام، هو في الحقيقة ضد قيم الدين وأخلاقه وجوهره.

ملاحظةأخيرة يجب أن تذكر حول هذه القضية، وهي أن الإسلام لا يخص أمة معينة أو منطقة جغرافية محددة. بل على عكس ما يعتقد العالم الغربي المسيطر، فالإسلام ليس "ثقافة شرقية". الإسلام هو آخر الأديان أنزله الله للناس كافة ليهدى لهم إلى سواء السبيل. والمسلمون هم المسؤولون عن توضيح مفاهيم الدين الحقيقة لكل



﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ
أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَعِمًا يَعْظُّكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨)



الناس في كل مكان ليكونوا أكثر فهمًا للإسلام.

ولذلك، هناك حل واحد في نظر المجموعات التي تمارس العنف باسم الدين، وهو تحويل العالم إلى مكان مظلم بائس عن طريق نظم حكم ظالمة بدلاً من أن يحوله إلى مكان جميل عن طريق تطبيق التعاليم والمفاهيم الحقيقة للإسلام كي يستطيع الناس فهمه والعيش في رحابه.

خديعة الأصولية

هناك ظاهرة أخرى ترتبط بالإرهاب يجب أن نناقشها وهي الأصولية. الأصولية أو "الراديكالية" تعني دعم التغييرات المخربة الثورية المفاجئة وتوفير السياسات العنيفة الصارمة التي تساعد على إنجازها. ويتميز الأصوليون بميلهم للتغيير الشوري والعنيف، ويتبينون أحياناً موقفاً عدائياً.

ومن هذا نرى أن هناك دليل للمسلم في القرآن عن كل مجال من مجالات الحياة. فعندما ننظر إلى الأصولية في ضوء القرآن، نجد أنها لا تتفق مع أخلاق المؤمنين التي أمرهم الله بها. يصف الله المؤمن في القرآن بأنه إنسان محب حسن الكلام، يتتجنب النزاع والجدال ويقترب إلى الناس، حتى الأكثر عداوة منهم ، بالدفء والود.

وقد ضرب الله لنا مثلاً بتلك الأخلاق في قصة موسى وهارون مع فرعون:
﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قُوْلًا لَيْنَا لَعَلَهُ يَتَدَكَّرُ أَوْ يَخْشِي ﴾
(طه: ٤٣-٤٤)

كان فرعون من أكبر الكافرين العصاة في زمانه، وكان الطاغية الذي أنكر وجود الله وعبد الأصنام، علاوة على ذلك فقد عرض المؤمنين (الإسرائيлиين في ذلك الوقت) للقتل والعقاب الرهيب. ومع ذلك فقد أمر الله أنبيائه بالذهاب لهذا الرجل والتحدث معه بلين ولطف .

وستلاحظ أن الطريق الذي أوصى به الله هو طريق الحوار الودود ، ليس طرق

بمعنى الكلمة ولكنه يوضح بعض الشرور ويدعو الناس لتركها. وقال أيضاً "وما أريد أن أخالفكم" فغرضه ليس معارضته الناس وهو لا يريد أن يثيرهم أو يحرض على النزاع ولكنّه يريد فقط أن يدعوهם للإيمان واعتناق الأخلاق والمبادئ السامية.

إذا تدبرنا القرآن الكريم نجد أن جميع الأنبياء اتصفوا بالهدوء والسكينة والتسامح. يصف الله نبيه إبراهيم قائلاً :

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ﴾ (التوبه : ١١٤)

وفي آيات أخرى يصف أخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا قَلْبٌ لَّا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران : ١٥٩)

الغضب والانفعال هو أهم ما يميز الأصولية. ترى هذه الصفة بوضوح في خطب وكتابات ومظاهرات الأصوليين. فالانفعال ليس من خصائص المسلمين، ويصف الله تعالى المؤمنين في القرآن قائلاً:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٤)

فليس هناك ما يستدعي غضب المسلم، فكل ما يريده من الآخرين هو الإيمان بالله والعيش بالأخلاق والمبادئ السامية، وهذا فقط من نعمة الله على الناس. ومهما نحاول أن نفعل أو نوضح الحقيقة للناس إلا أن قلوبهم وهدايتهم بأمر الله وحده.

ويذكر الله للMuslimين هذه الحقيقة الهامة في الآية التالية :

﴿أَفَلَمْ يَيَأسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد

: ٣١)

وتتضح هذه الحقيقة في آية أخرى :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٩٩)

النزاع بالكلمات الحادة والشعارات الغاضبة والاعتراضات التهوية .
وهنالك عدة أمثلة تبين للمسلمين كيفية التصرف في مثل هذه المواقف مثل ما

حدث بين نبي الله شعيب والكافرين :

﴿ وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ * قَالُوا يَا شَعِيبُ أَصْلَاثُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتُرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تُوفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : ٨٤-٨٨)

نلاحظ أن شعيب دعا شعبه لتقديم الله والتزام الأخلاق السامية وذلك بكل ود ولطف، وهنا نوضح بعض المفاهيم والأسباب الكامنة خلف ما ورد في هذه الآيات:

* عندما قال شعيب لقومه "ما أنا عليكم بحفيظ" لم يكن يريد أن يسيطر عليهم بل قصد فقط إخبارهم بالحقيقة التي وضحتها الله.

* "إنك لأنت الحليم الرشيد" هذه هي كلمات الكافرين لشعيب التي توضح مدى لطفه وأدبه، وهم بأنفسهم من أقرروا بذلك.

* "قال يا قوم أرأيتم إن كنتم على بيضة" هذه الكلمات التي استعملها شعيب تدل على أنه يدعوا الكافرين لتحكيم عقولهم وضمائرهم. بمعنى آخر فهو لم يضغط عليهم ولكنه نقاش عقولهم ودعاهم للتوصل للحقائق بناءً على ما تدلهم عليه أفكارهم وضمائرهم.

* "وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه" وتحريم شعيب هنا ليس تحريما



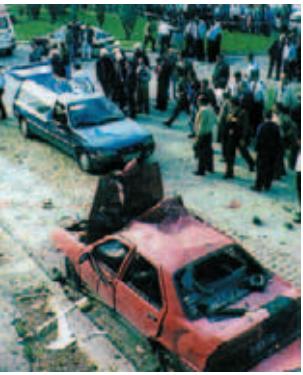
ليست تيارا إسلاميا وإنما نتجت عن فكر ووضع سياسي وفد إلى العالم الإسلامي من الخارج. وعندما ندرس تلك الظاهرة الاجتماعية المسمة بالأصولية ، نجد أنها تجمع الأساليب والأفكار التي تبناها الشيوعيون في الماضي. فتعبير "التعصب الأعمى" لا نجده في الإسلام:

﴿إِذْ جَعَلَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ الْجَاهِلَيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّزَهُمْ كَلْمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح : ٢٦)

يجب على كل المسلمين رفض التعصب كليا، فالجدل والإصرار على الرأي يعارض ما جاء في القرآن الكريم، بل يجب على المسلم أن يتبنى موقفا هادئا متسامحا ورحينا. ويجب أن يكون المسلمون مثالا للعالم في حكمتهم وتسامحهم واعتدالهم وتواضعهم وسلمتهم. وكذلك يجب أن يكونوا صورة نقية للإسلام ليس فقط بهذه الصفات ولكن أيضا بإنجازاتهم في ميادين العلم والتراث والفن وكل متطلبات المجتمع.

ومن واجبات المسلم كذلك توضيح الأفكار الصحيحة للإسلام وحمايته من الفكر الدخيل. يوضح الله في هذه الآية ما يجب أن يكون عليه المسلمين تجاه الآخرين:

﴿إِذْ دُعَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ (النحل : ١٢٥)



"بالنسبة إلى الإرهابيين، يعتبر قتل الأبرياء والتخريب أسلوبا في الحياة. وهم يتعهدون إراقة الدماء. فهم يقتلون الأبرياء، ويفجرون الأطفال ويهددون البيوت بلا رحمة."

إذا، فواجب المسلم هو أن يوضح الحقائق ويدعو الناس لقبولها. أما قبول الناس أو رفضهم للدعوة فقط لإرادتهم الحرة . ويوضح الله هذه الحقيقة عندما يقول إنه لا إكراه في الدين :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكُفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾
(البقرة : ٢٥٦)

إذن، لا إكراه للناس لترك عقائدهم واعتناق الإسلام، ولا إجبار للمسلمين لأداء الصلوات واجتناب المعاishi، هناك فقط النصيحة.

ويوضح الله لرسوله عليه الصلاة والسلام في بعض آياته أن المسلمين ليسوا طغاة:

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَارٍ فَذَكِرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾ (ق : ٤٥)

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (يوئس : ١٠٨)

إن مسئولية المؤمنين هي شرح دينهم، دون إكراه أو ضغط على أحد، وقد أمرروا أن يدعوا بالحكمة حتى مع أكثر الكافرين قسوة. ومثل هؤلاء الدعاة لا يمكن أن يكونوا أصوليين، لأنّ الأصولية تتنهج عكس كل ما ذكرناه. والأكيد أنّ الأصولية

نفسية الإرهابي وأساليبه

في وقتنا الحاضر، اتسع معنى الإرهاب. فهو بوجه عام يشير إلى الصراع المسلح الذي تمارسه مجموعات الفكر الأصولي. بشكل عام، الإرهاب يعني التخويف. ويحيط هذا الخوف بحياة الناس التي تشعر بالتهديد المستمر من العنف والإرهاب. ويشمل الإرهاب الرعب والتخويف المنظم الذي يهدف إلى إجبار الناس على تبني طريقة تفكير وسلوك معينين، كما أن أي فعل عنيف ينتج عنه هذا الخوف. ولكن في كل الأحوال هدف الإرهاب المباشر وغير المباشر هم الناس أنفسهم. تلجم منظمات العنف للإرهاب لحشد المساندة. فهم يعتمدون التخويف اعتقادا منهم بأنه يزيد من قوتهم ويكسبهم مساندة بعض المواطنين.

عموماً عندما تذكر الكلمة إرهاب فإن أول ما يفكر فيه الناس هو نوع من الإرهاب عرف باسم "الإرهاب اليساري"، وهناك نوع آخر من الإرهاب يوجد في دول العالم الثالث يتمثل في الممارسة الديكتاتورية للحكام. وفي الحقيقة لم يحدث شيء أكثر إرهاباً من أساليب الإرهاب اليساري، حيث يستعمل الدكتاتور أو مجموعة القوة الحاكمة الظالمة قوتهم لمصالحهم الشخصية، لذلك يكون لديهم تجارب عديدة في مواجهة المعارضة الاجتماعية. في هذه الحالة يلجم النظام الدكتاتوري إلى نفس الأسلوب الذي أثبتت قوته وفاعليته أمام المعارضة، فيبدأون باستخدام العنف لدعم موقفهم وإخافة المواطنين.

من ناحية أخرى تزعم المنظمات الإرهابية التي تعتمد مثل هذه المعتقدات أن هدفها هو القضاء على الحكم ومساؤه والذى يعتبرونه ظالماً وغير شرعى، وهم يفعلون هذا للوصول إلى هدفهم في تحقيق طرق أكثر عدلاً لحياة أكثر سعادة. وهذه المزاعم ليست حقيقة، ففي القرآن الكريم يخاطب الله الذين يفكرون بهذه الطريقة بقوله:

الإسلام يندد بالإرهاب



"يعدم الإرهابيون للتغريب النفسي والجسدي للوصول إلى أهدافهم. أما تعاليم الدين، والتي تعارض الإرهاب، فهي تدعو إلى نشر المحبة والخير والرحمة والسعادة والأمل في المجتمع."



"يعلمنا القرآن أن قتل الأبرياء من أشد الأعمال قسوة. ويحرم الله الإرهاب ويدين من يرتكبونه".

الإرهاب والفوضى، حيث ذكر في القرآن :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيُّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِنْجَامُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٣)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢-١١)

قتل الأبرياء بالنسبة للإرهابيين طريقة حياة . فهم يقتلون الأبرياء ويفجرون الأطفال بلا رحمة . فارقة الدماء بالنسبة إليهم تتحقق السعادة ، حتى أنهم لم يعودوا بشرًا بل تحولوا إلى وحوش هائجة . وإذا وجد بينهم من يظهر بعض الشعور بالشفقة يحتقرونه ويعتبرونه جبانا أو خائنا . غالباً ما يستخدمون الأسلحة ضد بعضهم البعض ، ويقومون بما يسمى التطهير داخل منظماتهم .

نلاحظ بوضوح أنه لا شيء أكثر شرًا من إراقة الدماء . ومن يدعم هذه الهمجية فكانه يحمي هذا الشر . ويجب أن لا نخدع بالإرهابيين الذين يستخدمون لغة الدين ومفراداته . فهؤلاء الذين يلبسون عباءة الدين الباطلة ذنبهم مضاعف ، إراقة الدماء والدعوة بما ليس في الدين بل بما يخالف الدين أيضا .

فالإرهاب والدين يتعارضان تماما ، حيث يتبنى الإرهاب طريق العداوة والقتل والصراع والظلم والبؤس . بينما ينهى القرآن عن كل هذا الظلم ، ويدعو الله للسلام والود والتآلف والتراحم . ويحرم كل أنواع وأفعال الترهيب التي لا تشجع على

السلام ، ويدين أولئك الذين يرتكبون مثل هذه الأفعال :

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَافِعِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْلَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

(الرعد : ٢٥)

ومن الصفات الأساسية للإرهابيين الذين يمارسونه أنهم بعيدون كل البعد عن حب الله ولا يعرفون حتى الخوف منه . فقد قست قلوبهم ومرضت أرواحهم .

ويخبرنا الله عن هؤلاء في القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازَ مَشَاءَ بَنَمِيمٍ * مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَثِيمٍ * عُثْلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ (القلم : ١٣-١٠)

وقد حرم الله الثورة والاعتداء بلا سبب ، ويحرم الإسلام ما نسميه الآن بأعمال

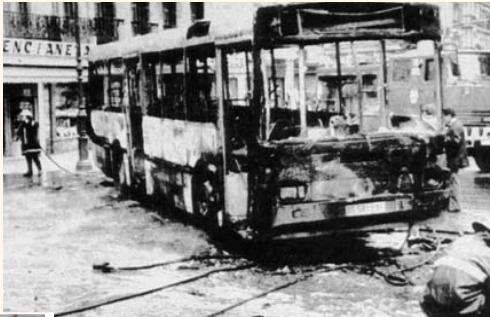
أعمال العنف :

أحد أهم طرق الدعاية

للمنظمات الإرهابية

يعتبر الإرهابيون أعمال العنف دعاية لمنظمتهم. بالنسبة لهم، أعمال مثل قتل الأبرياء وسرقة البنوك وأغتيال الناس والخطف والتفحير، تقوم كلها بدور الدعاية لكفاحهم. بالنسبة للإرهاب الذي يميل إلى الفوضى، فإن القيام بعمل عنف واحد ي العمل من الدعاية في يوم ما لا تستطيع فعله الملايين من المنشورات.

مثل هذه الأفكار غريبة تماماً على كل المشاعر الإنسانية من الرحمة والعطف والتسامح، وهي منافية كذلك لكل تعاليم القرآن، وقد تؤثر فقط في المجتمعات التي تسيطر عليها أفكار ومعتقدات معادية للدين. لهذا السبب، فإن الحل الوحيد الذي يمكن أن ينقذ الإنسانية من مثل هذا التفكير الجاهل هو تطبيق تعاليم وأخلاقيات القرآن الكريم أسلوباً في الحياة.



"**يري الإرهابيون أفعالهم**
المخربة وسائل للدعاية،
ويسعون لنشر الخوف عن
طريق قتل الأبرياء وتدمير
الممتلكات."

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة : ٨)



نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب

العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي أحد الموضوعات الهامة التي نوقشت بعد الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة. وكما هو معروف، فقد تنبأ بعض المثقفين في القرن التاسع عشر أن العالم على وشك صراع بين الغرب والإسلام. وكان هذا هو الموضوع الرئيسي لرسالة صموئيل هانتينجتون "صراع الحضارات". وقد سمي إدوارد دبليو هذا الصراع بـ "صراع الجهل" حيث قال : "يرجع هذا السيناريو الخيالي والمبالغ فيه إلى تأثير بعض العناصر المتطرفة والجائحة والتي تتوارد في كلتا الحضاراتين. وفي الحقيقة إنه لا يمكن أن يكون هناك صدام أو تعارض بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وذلك لأن المعتقدات المسيحية واليهودية التي تستند

"وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (يونس : ٢٥)



﴿ وَقُولُوا آمَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٦)

إن جميع أتباع هذه الديانات الثلاثة العظيمة يؤمنون بأن الله هو خالق الكون من العدم وهو المسير له بقدرته المطلقة.

"يُعرَفُ المسيحيون واليهود في القرآن الكريم بأهل الكتاب، وقد أمر المسلمين

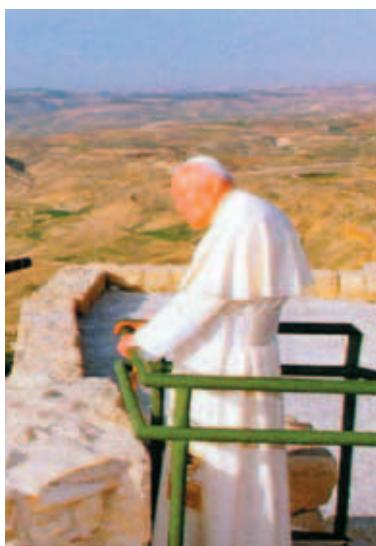
باحترامهم والرحمة بهم. فهم يشاركون المسلمين نفس القيم الأخلاقية"

* يؤمنون بمعجزة الله في خلقه وأنه هو الذي وهب الروح والحياة للإنسان.

* يؤمنون بالبعث والجنة والجحيم والملائكة، وبأن حياتنا تسير بقدر الله

تعالى.

* يؤمنون بأنه إلى جانب عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام أرسل الله العديد من الرسل مثل نوح وإبراهيم واسحق على مر التاريخ، وهم يحبون جميع هؤلاء



"يُعرَفُ المسيحيون واليهود في القرآن الكريم بأهل الكتاب، وقد أمر المسلمين باحترامهم والرحمة بهم. فهم يشاركون المسلمين نفس القيم الأخلاقية"

عليها الحضارة الغربية تنسجم تماما مع الإسلام.

يسمى اليهود والمسيحيون في القرآن الكريم "أهل الكتاب"، وذلك لأنهم يتبعون كتب مقدسة منزلة من عند الله تعالى. ونظرة الإسلام لأهل الكتاب عادلة جداً ورحيمة.

اتضح هذا الموقف نحو أهل الكتاب في خلال السنوات الأولى للدعوة الإسلامية. في ذلك الوقت كان المسلمون أقلية يجاهدون من أجل حماية إيمانهم ويعانون من الظلم والتعذيب الذي لاقوه من كفار مكة. وبسبب هذا الاضطهاد، قرر المسلمون الفرار من مكة واللجوء إلى بلد آمن يحكمه ملك عادل. وعندما أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتخدوا من الحبشة (أثيوبيا) مأوى لهم وكان ملكها مسيحياً. وقد وجد المسلمين فيه حاكماً عادلاً استقبلهم بالحب والاحترام. ورفض الملك طلب رسل المشركين إليه بتسليمهم المسلمين، بل أعلن أنه في إمكان المسلمين العيش بحرية في بلده.

يشير القرآن الكريم إلى هذا الموقف المسيحي المليء بالرحمة والعدل والرأفة حيث يقول :

﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة : ٨٢)

اشتراك المسلمين و أهل الكتاب في القيم والمعتقدات العامة

هناك العديد من المظاهر المشتركة بين المعتقدات الإسلامية وال المسيحية. وكذلك تشارك اليهودية الإسلام في العديد منها. ويوضح الله في القرآن الكريم أن المسلمين يشاركون أهل الكتاب العقيدة نفسها ويبين لهم كيفية مخاطبة أهل الكتاب:

أعداء المسلمين وأهل الكتاب

من الحقائق الهامة أن الفلسفات الملحادة التي تنكر وجود الله والتي انتشرت في عالمنا اليوم، بدأت تغزو الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية معاً. من بين أكثر الفلسفات ضرراً والمعروفة في عصرنا تلك التي تستند إلى المادية والشيوعية والفاشية والفووضوية والعرقية والإلحاد والوحودية . والعديد من الناس الذين آمنوا بهذه الفلسفات الباطلة في الكون والمجتمع والإنسان، فقدوا إيمانهم أو شكوا فيه. بل الأكثر من ذلك أن هذه المعتقدات ورطت الناس والمجتمعات والأمم في أزمات كبيرة ونزاعات وحروب. ولهذه المعتقدات النصيب الأكبر من المسؤولية عن العذاب والمشاكل التي تعاني منها الإنسانية كلها في الوقت الحاضر.

إنكار وجود الله وخلقه، هذا هو الإطار العام التي تستند عليه تلك الأيديولوجيات، وهو عبارة عن قاعدة علمية تسمى نظرية داروين للتطور. حيث أقامت هذه النظرية قاعدة فلسفة الإلحاد. وتدعى هذه النظرية أن الكائنات الحية تطورت صدفة كنتيجة لمحاولة التكيف مع الحياة. إذن فالدارونية ترسل هذه الرسالة الخادعة للناس:

"أنت لست مسؤولاً عن الآخرين، فحياتك هي مجموعة من الصدف، وهي تحتاج إلى الكفاح، حتى وإن دعوك الضرورة لاضطهاد الآخرين لكي تنجح، إن هذا العالم هو مكان للصراع والمصالح الشخصية"

وقد اخترت العديد من المفاهيم الدارونية القيم الاجتماعية مثل "الاختيار الطبيعي" و "الصراع من أجل البقاء" و "البقاء للأقوى". وتنص هذه المبادئ الناس بأن يكونوا قساة، ظالمين، نفعيين ، أنانيين. بل وتدمر الفضائل كالرحمة والرأفة والتضحية والتواضع، تلك القيم الأخلاقية التي تدعمها الأديان الثلاثة كضرورة لـ "قانون الحياة".

وتتنافي الفلسفه الدارونية تماماً مع معتقدات أهل الكتاب ورسالة القرآن

الأنبياء.

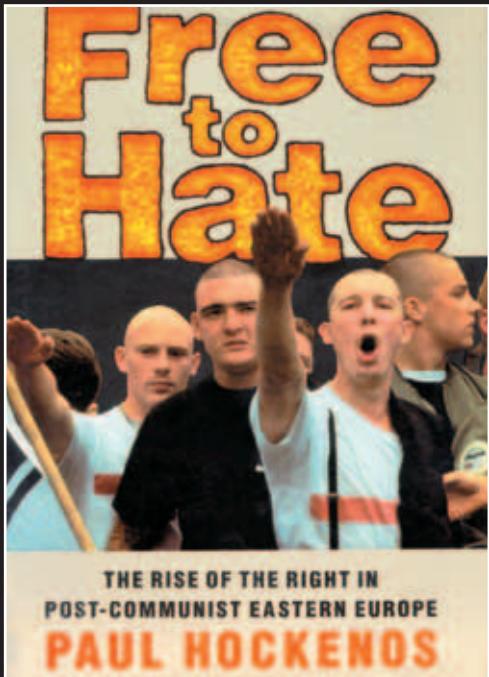
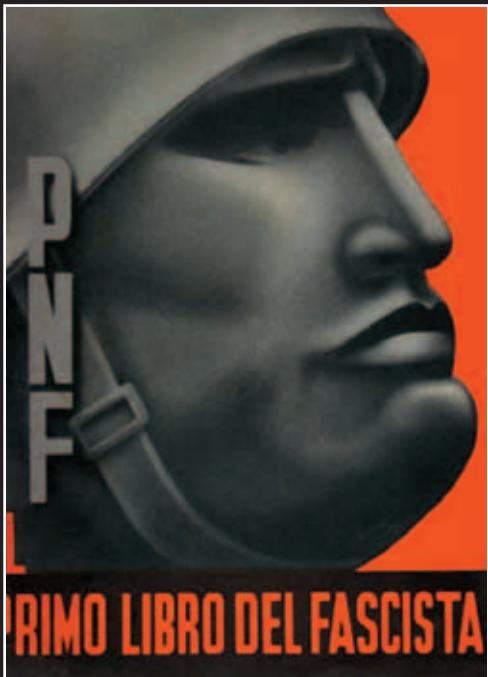
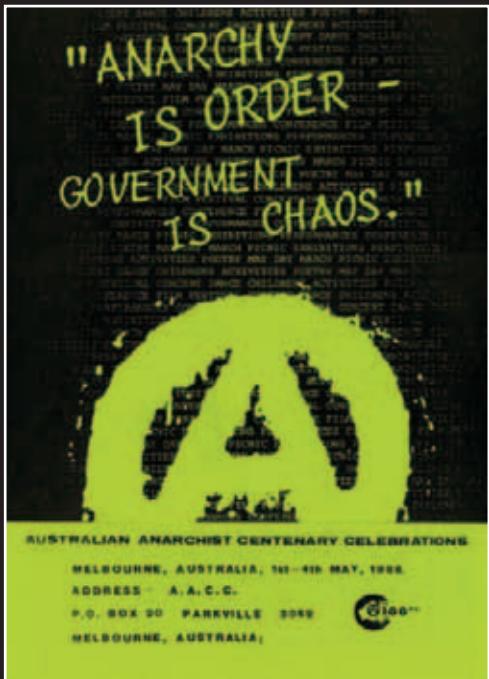
ويوضح القرآن الكريم في إحدى آياته أن المسلمين لا يفرقون بين الأنبياء:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللهِ وَمَا لَأَنْتَ هُوَ كُتُبُهُ وَرَسُلُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمُصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

تفق معتقدات أهل الكتاب مع معتقدات المسلمين ليس فقط في القضايا التي تتعلق بالإيمان، ولكن أيضاً في القيم الأخلاقية. وفي وقتنا الحاضر انتشر الفساد في العالم كله مثل الزنا واللواث والإدمان والأنانية والغرور، بينما يشارك أهل الكتاب المسلمين نفس الفضائل مثل الشرف والعفة والتضحية بالنفس والتواضع والرحمة والرأفة والحب دون انتظار مقابل.



"ينشغل اليوم كل من المسلمين وأهل الكتاب بتتوسيع دائرة كفاحهم ضد الفساد والإدمان والشذوذ الجنسي. وتتمسك الديانات الثلاثة بأعظم الفضائل كالعلمة والأمانة ونكران الذات".



"جلبت المعتقدات الملحدة مثل الفاشية والشيوعية والعرقية والفووضية الدمار للإنسانية وشجعت الكراهيّة في المجتمعات".



"تفترح الدارونية مجتمعاً يشجع النزاع والعنف كوسائل للتطور. لكن تكشف الدراسات الاجتماعية التأثير السلبي لتلك النظرية التي لم تجلب غير الألم والدمار للمجتمعات ."

معاداة السامية عنصر ية تحالف تعاليم الإسلام

تهدد أفكار معاداة السامية في عصرنا الحالي السلام العالمي وتستهدف أمن وأمان الأبرياء. وهذه العنصرية والكراهة يظهرها البعض نحو اليهود. في القرن العشرين، ارتكبت العديد من الكوارث الكبرى باسم معاداة السامية، ومن أكبر حوادث التروع والقتل والظلم تلك التي ارتكبها النازيون ضد اليهود. بالإضافة إلى هذا فقد استهدف اليهود وتعرضوا للظلم في العديد من البلدان التي كان فيها الحكم ديكتاتوريا. وذاق اليهود سوء العذاب على أيدي المنظمات الفاشية. ولكن ما هو موقف المسلمين تجاه معاداة السامية؟

الجواب واضح، يجب على المسلم أن يعارض معاداة السامية كما يعارض كل الآراء العنصرية الأخرى. وإذا كان من حق المسلمين إدانة سياسة الظلم والعدوان التي تمارسها إسرائيل إزاء بعض الشعوب، فإنه من غير المقبول أن يصبح جميع اليهود هدفاً للإدانة وخاصة الأبرياء منهم؛ وإلا سيكون هذا معاداة للسامية. وعلى أية حال فإن انتقاد السياسة الصهيونية الرسمية لا يعني معاداة السامية، حيث أن الاعتراض على الصهيونية هو اعتراض على شكل من أشكال العنصرية. وهناك العديد من اليهود الذين ينتقدون عنصرية وسياسة الصهيونية، وسيكون من السخيف وغير المعقول وصف هؤلاء بمعاداة السامية.

والقرآن الكريم لا يقبل وضع جميع الناس في خانة واحدة واتخاذ الموقف نفسه إزاءهم جميعاً، فهناك حاجة إلى أن تميز بين الحسن والسيء والخير والشرير وبين الظالم والبريء. بعد الإشارة إلى بعض اليهود والمسيحيين الذين انتهكوا أوامر الله ، ذكر الله كذلك من أظهر كمالاً وتمسكاً بالأخلاق منهم فقال:

﴿لَيُسُوِّا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَّنَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ

ال الكريم. لذلك تمثل مبادؤها الأسس الذي يرتكز عليه العالم المعارض للأديان المقدسة الثلاثة.

لهذا السبب، من الضروري أن يتحد المسلمين وأهل الكتاب طالما أنهم يؤمنون بالله ويقبلون كل ما أمرهم به. ويجب عليهم أن يوضّحوا للعام زيف الداروينية ومتغالطاتها، وبينوا أن لها أي أساس علمي، ويحاول بعض الناس الحفاظ عليها فقط لأنها فلسفة مادية . كما يجب على أتباع الأديان الثلاثة كذلك قيادة كفاح ثقافي ضد كل الأفكار الخادعة (الشيوعية ، الفاشية ، العرقية) والتي تخدم الإلحاد . وإذا حدث هذا ، سوف يصبح العالم في وقت قصير جدا واحة للسلام والأمن والعدل.



"اضطهاد اليهود على مر التاريخ كان أساسا نتاجاً لمعاداة السامية. من حقنا أن نعارض ونتقد وحشية إسرائيل، ولكن لا يجب على المسلم أن يرد على هذا الظلم والقسوة بقتل الأبرياء من اليهود.".





"يُودُّ الْمُسْلِمُونَ الْعِيشَ مَعَ الْمُسْكِحِينَ وَالْيَهُودَ فِي سَلَامٍ وَمُحَبَّةٍ، وَأَنْ يَعْتَمِلَ كُلُّ مِنْهُمْ بِرَحْمَةٍ وَتَسَامِحٍ وَاحْتِرَامٍ".

والمغفرة حتى مع أعدائهم.

من ناحية أخرى، تتعايش جميع أنواع العنصرية معاً في سلام بين أناس مختلفي الأجناس والمذاهب. فعلى سبيل المثال، يتعايش العنصريون الألمان (النازيون) مع العنصريين اليهود، مع أن كلاً منهم يعارض هذا الوضع لأن كل جانب يرى أن الجنس الآخر جنساً متدنياً. وفي القرآن، لا يوجد هذا التمييز بين الأجناس، فالقرآن يدعو الناس من مختلف العقائد إلى التعايش معاً في نفس المجتمع بود وسلام.

وفقاً للقرآن، يجب على المسلمين والمسيحيين واليهود أن يعيشوا متحابين

يتضح في القرآن ذلك الخلاف الحاد بين أهل الكتاب والملحدين الذين لا يؤمنون بالله تعالى. مما يؤكّد خاصّة اهتمام القرآن بالحياة الاجتماعية. وكمثال، يقول القرآن الكريم قاصداً هؤلاء الملحدين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجَدَ الْحَرَامِ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خَفْتُمْ عَلَيْهِ فَسَوْفَ يُغْنِيْكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبه : ٢٨)

هؤلاء الملحدون ليس لديهم قانون مقدس ولا أي مبادئ أو أخلاقيات، بل هم

الْمُنَكِرُ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعُلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفَّرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَقْبِينَ ﴿١١٣-١١٥﴾ (آل عمران : ١١٣-١١٥)

معاداة السامية هي عقيدة ضد الدين الذي يستمد جذوره من الوثنية الجديدة. لذا فمن غير المعقول أن يقبل المسلمون معاداة السامية أو يشعروا حتى بالتعاطف مع هذه العقيدة. فالمعادون للسامية لا يحترمون أنبياء الله كإبراهيم وموسى وغيرهم من أرسلهم الله بالحق ليكونوا مثلاً يحتذى للإنسانية.

معاداة السامية وكل أنواع التصub العرقي (مثل التصub ضد السود) ليس لها مكان في الدين الحقيقي، بل هي نتاج أفكار ومعتقدات منحرفة.

بالإضافة إلى كل هذا، عندما ندرس معاداة السامية وكل أشكال العرقية الأخرى، نرى بوضوح أنها تدعو إلى أفكار ونماذج مجتمعات تتنافى تماماً مع تعاليم القرآن وأخلاقياته، فعلى سبيل المثال ترتبط معاداة السامية بالكذب والعنف والظلم. وتکمن قسوة معاداة السامية في مساندتها لقتل اليهود الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال والمسنين والتغاضي عما يتعرضون له من عذاب.

ومهما يكن من أمر، فالمعنى الحقيقي لتعاليم القرآن الكريم هو التوجيه للحب والرحمة مع جميع الناس. والقرآن يأمر المسلمين بالعدل



الآخر وَعَمَلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ (البقرة : ٦٢)

إن دستور المدينة هو أكثر العقود أهمية، وقد ضمن تحقيق العدل والتسامح بين المسيحيين واليهود والمشركين.

أعد دستور المدينة بتوجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ١٤٠٠ عام ، أي في عام ٦٢٢ ميلادية، وذلك ليلبِي احتياجات جميع الناس من مختلف العقائد، وتم تطبيقه كعقد قانوني مكتوب. وقد أصبح الكثير من الجماعات التي تختلف في الدين والجنس والتي أضمرت لبعضها البعض عداوة خافية راسخة لمدة ١٢٠ عاماً أصبحت أطرافاً في هذا العقد القانوني. وقد أظهر الرسول عليه الصلاة والسلام بواسطة هذا العقد أنه يمكنه إنهاء النزاعات الكامنة بين هذه المجتمعات بل وبإمكانهم أن يعيشوا مع بعضهم البعض، بينما كانوا قبل ذلك أعداء وعجزوا تماماً عن التوصل لأي شكل من أشكال التسوية.

طبقاً لدستور المدينة، كان كل إنسان حر في التمسك بأي عقيدة أو دين واختيار أي سياسة أو فلسفة. ويمكن للأفراد الذين يشتراكون في نفس الأفكار التجمع وتشكيل جماعة. وكان كل شخص حر في ممارسة نظام العدل الخاص به. وبطبيعة الحال لن يحمي الآخرون أي شخص يرتكب جريمة. وانشغلت كل الأحزاب المشتركة في العقد بالتعاون ومساندة بعضها البعض، وبقيت كلها تحت حماية الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت النزاعات بين الأحزاب تعرض على الرسول عليه الصلاة والسلام للحكم فيها .

عمل بهذا العقد منذ ٦٢٢ م وحتى ٦٣٢ م . حلال هذا العقد، ألغيت التجمعات القبلية التي استندت إلى الأصل والنسب، وتجمعت أناس من مشارب عرقية وثقافية وجغرافية مختلفة معاً وشكلوا وحدة اجتماعية. وضمن دستور المدينة الحرية الدينية المطلقة.

يرتكبون جميع أنواع الانحراف بدون تردد. أما أهل الكتاب، الذين أرسلت كتبهم بوحي من عند الله، فلديهم أخلاقيات ومبادئ ويعترمون القيم الإنسانية. ولهذا فقد أعطى للمسلمين رخصة بالزواج من نساء أهل الكتاب:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيَّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانَ وَمَنْ يَكُفِرُ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(المائدة : ٥)

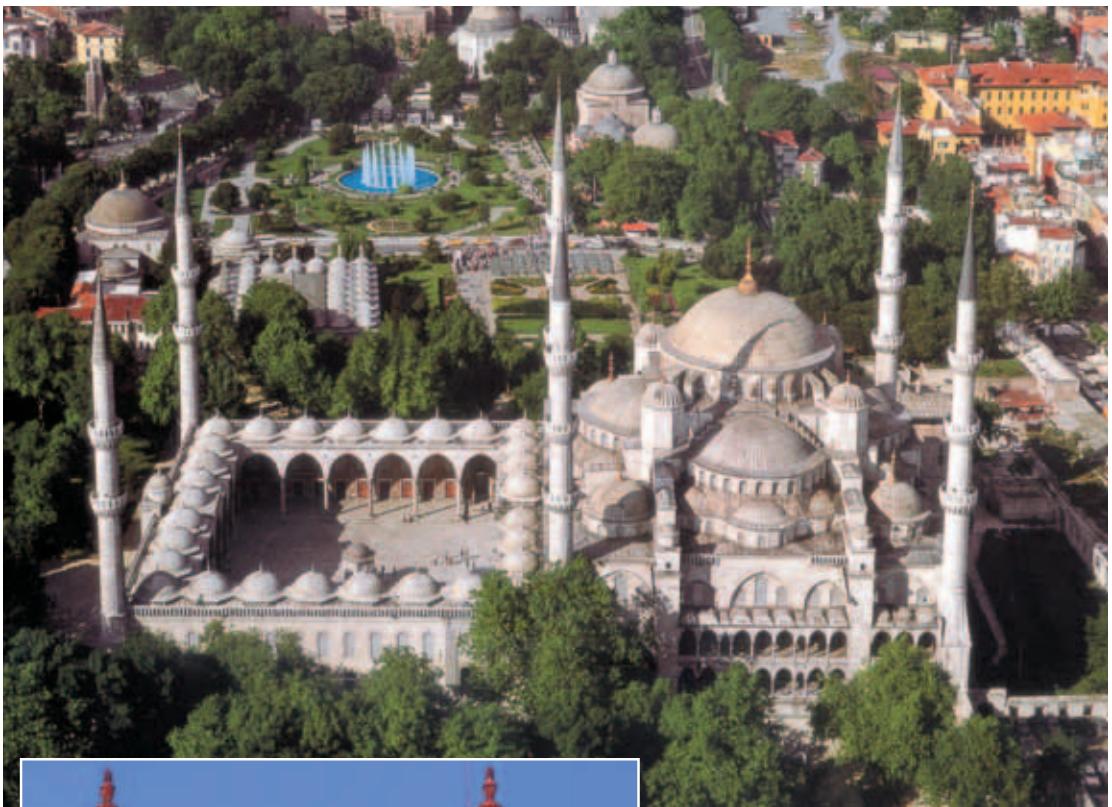
توضح هذه التوجيهات أنه من الممكن تكوين روابط نسب وقرابة كتيبة زواج المسلم من امرأة من أهل الكتاب، ويجب على طرف في هذا الرباط الاهتمام بالآخر. وتتضمن مثل هذه القواعد تأسيس علاقات إنسانية منصفة وحياة اجتماعية سعيدة. وحيث أن القرآن يوجه لمثل هذا الموقف العادل المتسامح، فإنه من غير المعقول أن يكون للمسلم وجهة نظر أخرى أو موقف معارض.

يمثل العدل والتسامح الذي أظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه أهل الكتاب مثلاً رائعاً يحتذى به المسلمين. ويعرض الرسول عليه الصلاة والسلام نموذجاً من أفضل أمثلة هذا العدل والتسامح في العقد الذي أبرمه مع مسيحيي نجران، الذين عاشوا في جنوب الجزيرة العربية، حيث تضمن العقد البنود التالية:

إن حياة أهل نجران والأراضي المحيطة بهم، ودينهم وأرضهم وأملاكهم وماشيتهم، من كان منهم حاضراً أو غائباً، رس لهم ودور عبادتهم كلها تحت حماية الله ووصاية نبيه صلى الله عليه وسلم .^{٢٠}

أمن الرسول عليه الصلاة والسلام بمثيل هذه الاتفاقيات حياة اجتماعية تتسم بالأمان والأمان للMuslimين وأهل الكتاب على حد سواء، ويتبين هذا تماماً في الآية التالية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾



"الجوامع والكنائس والمعابد أماكن
قدسية يرفع فيها اسم الله . ويدرك الله
في القرآن الكريم أننا يجب أن نحترم
تلك الأماكن المقدسة ونحترمها "

يتعين احترام الأديرة والكنائس ومعابد اليهود

حقيقة أخرى تعلمها من القرآن الكريم وهي أنه يجب على المسلمين احترام أماكن العبادة اليهودية وال المسيحية. وإن الكنائس والمعابد والأديرة قد حماها الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِعَضًا لَهُدَمْتَ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج ٤٠)

توضح هذه الآية للMuslimين ضرورة احترام وحماية الأماكن المقدسة الخاصة بأهل الكتاب.

وفي الحقيقة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أبرم مثل هذه العقود مع الوثنين أيضا. وقد عومل الوثنين دائما بالعدل، وقد لبى النبي عليه الصلاة والسلام كل طلباتهم عندما خضعوا لحمايته. يعني هذا أن تلك الجماعات قد طلبت حماية الرسول ضد أي هجوم أو اتهام ظالم. وخلال حياته عليه الصلاة والسلام طلب العديد من المسلمين والوثنيين حمايته، وقد أحدهم تحت حمايته وضمن لهم أمنهم. وينصح

الله المؤمنين في سورة التوبة بقبول طلب الوثنين لحمايتهم قائلاً :
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَحْجَرَكَ فَأَجْرِهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبه : ٦)

بسبب الاشتراك في العديد من الخصائص، فإن المسيحيين واليهود أقرب إلى المسلمين من أولئك الذين لا يؤمنون بالله. فكل منهم لديه كتابه الذي يتبعه وأنزل من عند الله تعالى. وطبقاً لكتابهم المقدسة، فإنهم يعرفون الحق من الباطل ويفرقون بين الحلال والحرام ويوقرون الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إليهم. وهم جميعاً يؤمنون بالآخرة وبحساب الله على أعمالهم. لذا فهناك جوامع مشتركة يمكننا أن نتحد على أساسها.



"يجب أن يتحد المؤمنون ويصلوا كل منهم لآخر"

الاجتماع على كلمة واحدة

اهتمامًا بأهل الكتاب، أمر الله المسلمين في القرآن بالاجتماع على كلمة

سواء:

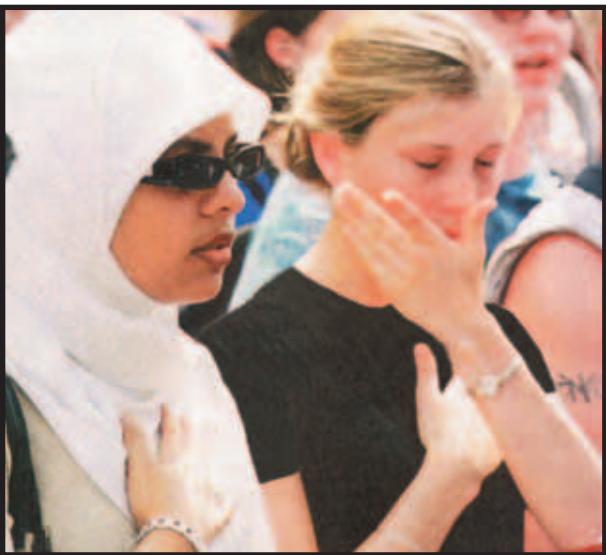
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴾ (آل عمران : ٦٤)

إن هذا نداء للمسيحيين واليهود، باعتبارهم يؤمّنون بالله ويتبعون أوامره، دعونا نتفق على كلمة واحدة وهي "الإيمان". دعونا نحب الله خالقنا وتبع أوامره. ولنصل لله داعين أن يدلّنا على الطريق الصحيح.



"سينتهي الشر في العالم
عندما يتّحد المسلمون
وال المسيحيون واليهود
ويتفقون على الإيمان
بالله والتسامح".

هارون يحيى (عدنان أوقطار)



"تلّي السيد / موزاميل سيديكوي، رئيس الطائفة المسلمة في أمريكا الشمالية، آيات من القرآن الكريم في كاتدرائية واشنطن الوطنية في ذكرى أحداث ١١ سبتمبر.
"صلّى الرئيس بوش إلى جانب إمام المسلمين في الكاتدرائية الوطنية خلال مراسم التأبين"
"زيارة بوش للمركز الإسلامي في واشنطن"
"بعد هجمات ١١ سبتمبر، صلّى كثيرون من الناس من各种 ethnic groups وديانات مختلفة تعاطفاً وتضامناً مع الضحايا"



TERRORISM AND ISLAM ARE NOT THE SAME

Extremists representing all three major world religions... [more]

Intolerant such of terrorism... [more]

LET US MOURN An interreligious ceremony at Bremen's Faith Mosque brings together leaders and adherents from Islam and Christianity to remember the victims of U.S. terror

Bush and Blair:

Islam is peace, not terror

American people were appalled and outraged at last Tuesday's attack, but in the rest of the world, both Americans and Muslim friends and citizens, too, were appalled and shocked. In various ways, we are appalled and could not believe what had happened in New York and Washington.

The acts of terrorism against innocent civilians violate the fundamental tenets of the Islamic faith. And it's important for any follower of Islam to say so.

The English translation is not an slogan on the original Arabic, but let me quote from the Koran, itself: "In the name of God, the most merciful, the most kind. If you do not turn away from your religion, then I will not turn away from mine. For they turned away from the signs of Allah and held them up to ridicule."

The idea of terror is not the core belief of Islam. It is not the core belief of any religion that is peace. These terrorist don't represent peace. They represent evil and war.

When we think of Islam we think of a



Muslims in London's Hyde Park pray for victims of the attacks

Karen Armstrong

The True, Peaceful Face of Islam

ARE 1.2 BILLION MUSLIMS IN THE WORLD, AND ISLAM IS THE WORLD'S FASTEST-GROWING RELIGION. IF THE EVIL CARS

AN END AS QUICKLY AS POSSIBLE AND MUST CEASE THE MINUTE THE ENEMY SUES FOR PEACE (2: 192-3).

عندما يتفق المسلمون والمسيحيون واليهود على كلمة سواء، وعندما يدركون أنهم أصدقاء وليسوا أعداء، وعندما يرون أن العدو الحقيقي هو من ينكر وجود الله، يصبح العالم بيئه مختلفة تماماً. سوف تنتهي الحروب والعداوات والرعب والهجمات الإرهابية في العديد من بلدان العالم، وستؤسس حضارة جديدة تستند على الحب والاحترام وعلى تلك "الكلمة سواء".

هناك العديد من الحقائق المهمة لدى المسلمين والتي لا يمكن التغافل عنها.

يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ فَلَنْ
يُكَفِّرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿آل عمران : ١١٣-١١٥﴾

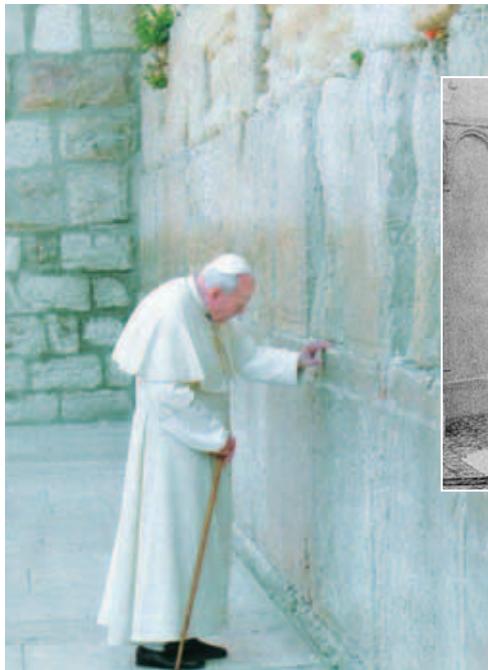
وفي آية أخرى قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ
مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿النحل : ٣٦﴾

أوحى الله إلى رسle أنه هو الواحد لا شريك له وهو سبحانه المعبد المطاع من قبل عباده. تلك الرسالة المقدسة التي أرسلها الله للناس من خلال رسle، بلغت لهم منذ الخلق الأول. بعض المجتمعات تقبلت الرسالة ووالترمت بها والبعض الآخر أنكرها وقام لها بالمرصاد. ونحن نرى هذه الحقيقة في وقتنا الحاضر أيضا، فبعض الناس يسلكون الطريق المستقيم والبعض الآخر ينغمدون في الشرور. وهذه إرادة الله تعالى. وعلى المؤمنين أن يعتقدوا بأن من بين معتنقي الأديان الأخرى بعض المخلصين الذين يخافون الله تعالى.

وأملنا أن تعيش شعوب العالم معا في سلام، دون النظر للجنس أو الدين، وأن نبذ كل أنواع التتعصب والتفرقة ونحترم حقوق كل الناس ونعمل على حمايتها، فينحصر الصراع ضد كل ما هو معاد للدين والإيمان. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَا عَنِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الدِّينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرُفُوا فِيهِ وَكَانُوا
مُّجْرِمِينَ ﴿هود : ١١٦﴾



"مظاهر الاحترام: البابا في زيارة لحانط المبكى في القدس، مفوض الاتحاد الأوروبي و رومانو بروودي يلقي خطاباً في المركز الإسلامي في بروكسل"

وما يأمرنا به الله تعالى تجاه الناس الآخرين ذوي المذاهب المختلفة واضح في القرآن الكريم:

* تحرم تعاليم القرآن كل أنواع العرقية .

* وقد أمرنا الله في القرآن بأن نظهر الود والتسامح تجاه أصحاب الأديان الأخرى طالما أنهم لا يهاجمون الإسلام والمسلمين.

من المعروف أن اليهود قد ارتكبوا العديد من الأخطاء التي أشار إليها القرآن الكريم وانتقدوها ونهي عنها. وقد ارتكبت إسرائيل جرائم مروعة ضد الإنسانية في وقتنا الحاضر يعرفها العالم كله، ولكن لا يجب أن يكون هذا ذريعة للمسلمين لكراهية جميع اليهود. وهناك أيضاً آيات في القرآن الكريم تمنعنا من أن نحكم على الناس طبقاً للجنس أو البلد أو الدين. ففي كل جماعة يوجد الخيرون والشرار. ويلفت القرآن الانتباه إلى هذا الاختلاف. وعلى سبيل المثال، ميز القرآن الكريم بين

فريقين من أهل الكتاب فقال في الفريق من أهل الحق:

﴿لَيُسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَنَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

انتشار الأمن والسلام في الشرق الأوسط بفضل الإسلام

عندما ننظر عبر التاريخ نلاحظ أن المناطق التي حكمها المسلمون وجد فيها التسامح والسلام. وسلوك الحكماء المسلمين في البلاد التي فتحها الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أمثاله واضحة وهامة جداً، ونجح العادلون منهم، الذين اتبوا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام والتزموا بها في تأسيس مجتمعات متسامحة. وقد وصف عهد هؤلاء الحكماء في القرآن بالعدل والصلاح والاستقامة، لذلك فهم مثال جيد للنجاح لكي تبعه الأجيال.

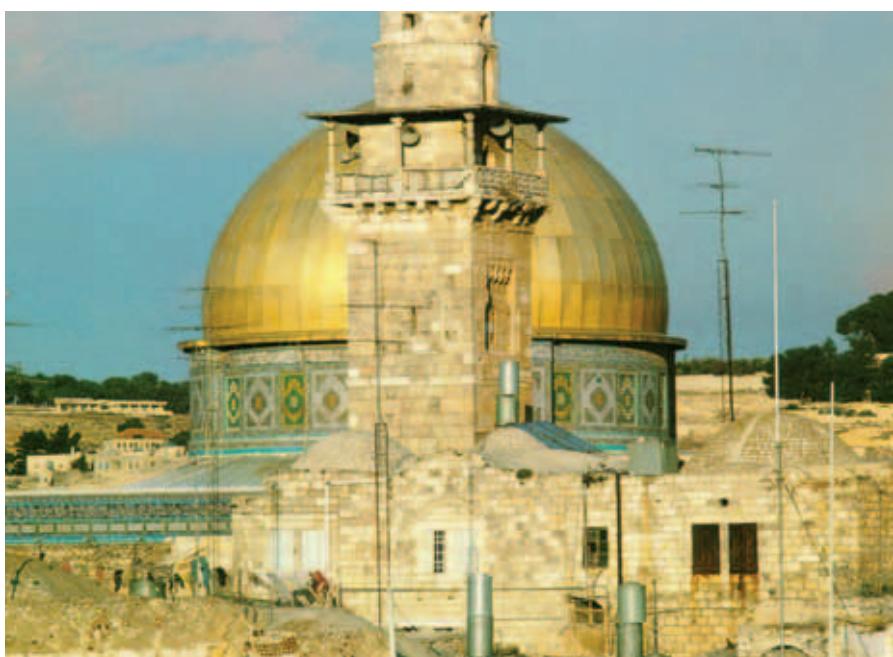
وتعتبر أرض فلسطين وعاصمتها القدس، حيث تجتمع الأديان الثلاثة مثلاً مهماً جداً يبين كيف يجلب المسلمين السلام والاستقرار إلى الأرض التي يحكمونها. وحقاً ، لأكثر من ١٤٠٠ عام عم السلام القدس وفلسطين تحت الحكم الإسلامي.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا
وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾
(النمل : ٨٩)



ربما يكون الغزو المدمر الذي سيتعرض له المعبد كما تنبأ النبي دانيال أو قد يكون المسيح الدجال الذي تنبؤوا به. وطلب عمر أن يزور الأماكن المسيحية، وبينما كان بكنيسة الضريح المقدس، وجب وقت صلاة المسلمين، وعرض البطريرك بكل تواضع على عمر أن يصلّي حيثما يقف، وبأدب شديد رفض عمر أن يصلّي في الكنيسة، وفسر ذلك بأنه يخشى أن يتخذ المسلمون من هذه الكنيسة مسجداً لهم ويدمرونها باعتبارها مكاناً للمسيحيين. وبدلاً من ذلك خرج عمر ليصلّي خارجها على مسافة قريبة منها، وما زال هناك حتى الآن مسجد صغير مقابل للكنيسة تماماً سمي مسجد عمر بن الخطاب.

يذكر جامع عمر الذي بني بجوار الكنيسة بفتح المسلمين، إلى جانب المسجد الأقصى الذي يحيى دائماً ذكري إسراء ومعراج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولسنوات طويلة اعتبر المسيحيون مكان الهيكل اليهودي خراباً لنفايات المدينة. ولكن عمر شارك بنفسه المسلمين في رفع النفايات من هذا المكان حيث شيد المسلمون مزارين لتوطيد الإسلام في ثالث أكثر المدن قدسية في



مسجد عمر رضي الله عنه وخلفه المسجد الأقصى

الأمن والعدل اللذان أوجدهما عمر رضي الله عنه في فلسطين

كانت القدس عاصمة اليهود حتى عام 71 م، وفي هذا العام اعتدى الجيش الروماني على اليهود ونفاهم بوحشية شديدة. وعندها بدأ تشتت اليهود في العالم، وأصبحت القدس وما حولها أرضاً مهجورة.

بعد فترة من الزمن عادت القدس لتصبح مركز اهتمام بعد اعتناق الرومان المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين، وبنى المسيحيون الرومان الكنائس فيها ومنعوا اليهود من الاستقرار فيها معاً تماماً. وبقيت فلسطين منطقة رومانية (بيزنطية) لأكثر من سبعة قرون. وقد احتل الفرس المنطقة لوقت قصير، ولكن بعدها عاد البيزنطيون لحكم المنطقة.

دخل تاريخ فلسطين منعطفاً هاماً عام 637 م وذلك عندما دخلتها جيوش المسلمين. وهذا التاريخ يمثل منعرجاً مهمَا في تاريخ فلسطين، فقد كانت لقرون عديدة مكاناً للحروب والنزاعات والنهب والقتل. وشهدت حوادث ظلم متكررة في كل وقت. وكان مجيء الإسلام حقبة جديدة استطاع فيها الناس من مختلف الأديان العيش معاً في سلام وتألف.

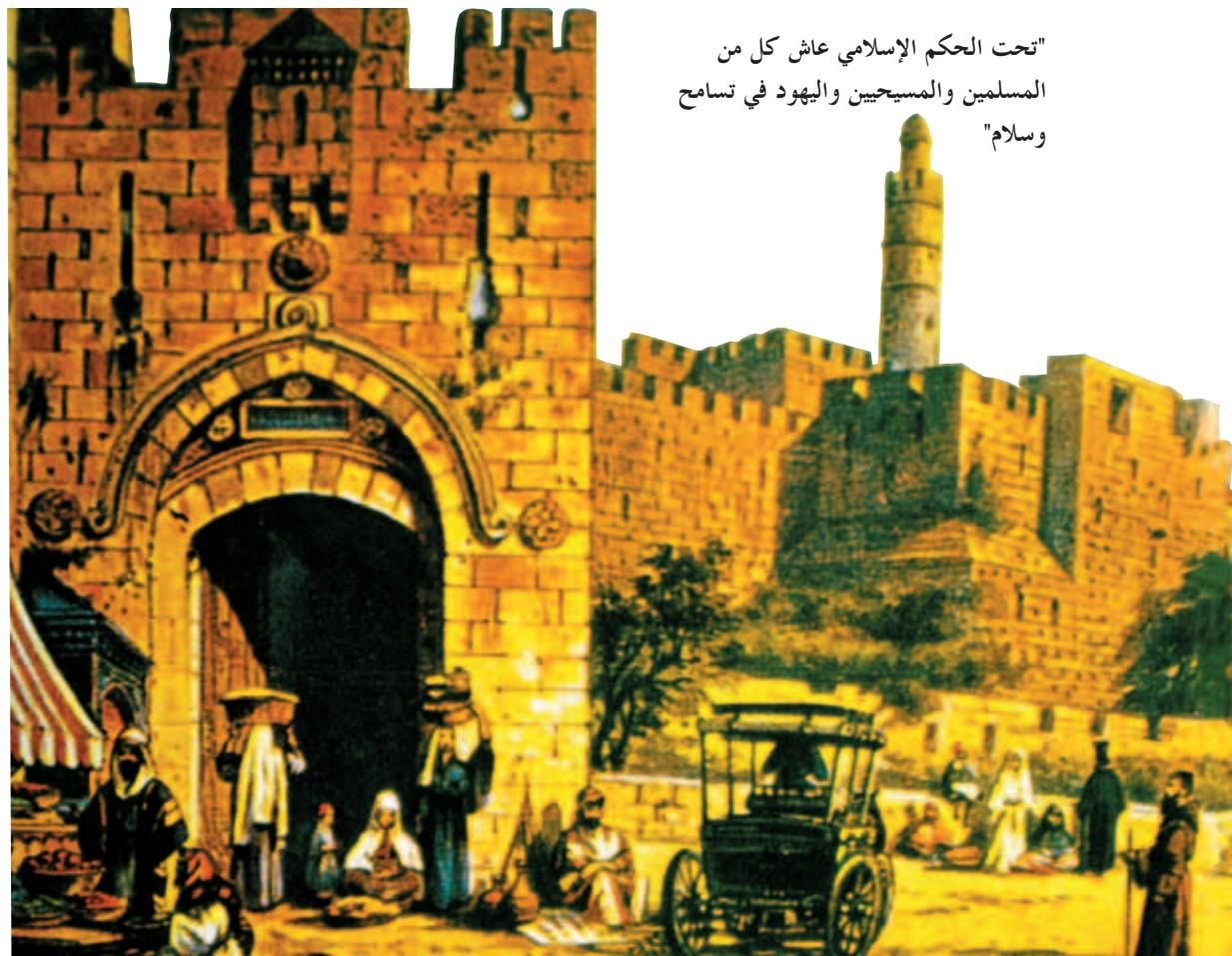
فتح سيدنا عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني للمسلمين بعد الرسول عليه الصلاة والسلام فلسطين. وبدأ العهد الجميل بدخول الخليفة للقدس الذي أظهر التسامح والحكمة والرحمة تجاه جميع أصحاب الديانات والمعتقدات المختلفة. ويصف المؤرخ البريطاني وخبير شؤون الشرق الأوسط كارلين ارمسترونج فتح عمر بن الخطاب للقدس في كتابه "الحرب المقدسة" قائلاً:

"دخل الخليفة عمر القدس على ظهر فرس أبيض، مرافقاً حاكماً المدينة، البطريرك اليوناني سفرونياس. وعندما طلب الخليفة أن يذهب إلى المعبد حيث سجد وصلى في نفس المكان الذي أسرى فيه بصاحب النبي محمد (عليه الصلاة والسلام). وكان البطريرك يراقب ما يحدث في رعب ويتصور أن هذا

وحشية الصليبيين

بينما كان أصحاب الأديان الثلاثة يعيشون معاً بسلام في فلسطين، قرر مسيحيو أوروبا تنظيم حملة صليبية. وبناء على نداء البابا أوربان الثاني في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥ م في مجلس كليرمونت، حشد أكثر من ١٠٠،٠٠٠ شخص من جميع أنحاء أوروبا لتحرير الأرض المقدسة واسترداد كنوز الشرق الأسطورية. وبعد رحلة طويلة ومرهقة، والكثير من المذابح على طول الطريق، وصل الصليبيون للقدس عام ١٠٩٩ م . وسقطت المدينة بعد حصار دام حوالي خمسة أسابيع، ودخلها الصليبيون وقاموا بأعمال وحشية قلل أن شهد العالم مثيلاً لها. وتعرض جميع المسلمين واليهود في المدينة للقتل والتكميل.

"تحت الحكم الإسلامي عاش كل من المسلمين والمسيحيين واليهود في تسامح وسلام"



العالم الإسلامي^{٢١}

وبقدوم الحكم الإسلامي للقدس، أصبحت جنة آمنة حيث تعيش أصحاب الديانات الثلاث في وسلام. كتب جون اسوزيتو :

"عندما فتحت الجيوش العربية القدس عام ٦٣٨ م، احتلت الأماكن الرئيسية التي يحج إليها المسيحيون، وترك المسيحيون الكنائس والبيوت باختيارهم دون قهر أو إجبار. وسمح لليهود بالعودة، وقد منعهم المسيحيون من العيش بالقدس، وخصوصا في مدينة سليمان داود"^{٢٢}

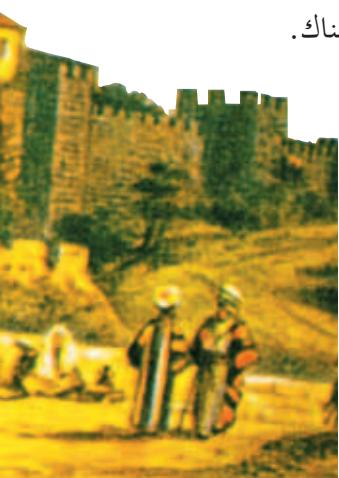
عندما دخل الخليفة عمر القدس وقع الاتفاق التالي مع حاكمها:

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ايلياه (بيت المقدس) من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبرئها وسائر ساكنيها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صلبيهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"^{٢٣}

باختصار، جلب المسلمين الحضارة للقدس وكل فلسطين، فبدلا من نظرة عدم الاحترام التي تواجهت تجاه الديانات الأخرى، وقتل أصحابها لمجرد اختلاف العقيدة، أتي الإسلام ليحكم بالعدل والتسامح والرحمة. وبعد فتح عمر لفلسطين، عاش فيها كل من المسلمين والمسيحيين واليهود في سلام وانسجام. ولم يحاول المسلمون استخدام القوة لتحويل الناس عن دينهم، وعندما رأى الناس حقيقة الدين الإسلامي، اعتنقوه بكل إرادتهم.

ساد السلام والتآلف فلسطين طوال فترة الحكم الإسلامي هناك.

ولكن في نهاية القرن الحادي عشر أتت قوة خارجية لتحتل المنطقة، وسلبت تلك المنطقة المتحضرة من القدس بكل وحشية وبربرية، وبشكل لم يحدث من قبل ولم ير مثله. وكان أصحاب هذه البربرية هم الصليبيون .



الشيء نفسه. ولكن على العكس، لم يؤذ صلاح الدين أي مسيحي داخل المدينة. بل والأكثر من ذلك أنه أمر الكاثوليك بترك المدينة، وسمح للمسيحيين الأرثوذكس، الذين لا ينتمون للصلبيين بالبقاء في المدينة وممارسة شعائر دينهم بكامل حريةهم. ومن كلمات جون اسوزيتو : "كان الجيش المسلم شهما في نصره كما كان متماساً في المعركة. فقد احترم المدنيين، ولم يمس الكنائس أو الأضرحة ...

وكان صلاح الدين صادقاً في كلامته، رحيمًا تجاه المدنيين" ^{٢٤}

وصفت كارن ارمسترونج الغزو الثاني للقدس بهذه الكلمات:

"في الثاني من أكتوبر عام ١٨٧١ ، دخل صلاح الدين وجشه القدس فاتحين، وبقيت القدس بعد ذلك مدينة مسلمة لمدة ٨٠٠ عام، وفي صلاح الدين عهده، وحكم المدينة طبقاً لمبادئ الإسلام السامية . ولم يتقم لمذبحه عام ١٩٩١م، تماماً كما أمر القرآن ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبِرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكِنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (التحل : ١٢٧) وقد انتهت القتل بمجرد انتهاء الحروب: ﴿وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قَصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَغْلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣-١٩٤) فلم يكن هناك سلب ونهب ولم يقتل مسيحي واحد . وتعمد أن يخوض الفدية ... وقد حزن وتأثر صلاح الدين من انفصال العائلات بعضها عن بعض بسبب الأسر، لذلك أطلق حرية العديد منهم، تماماً كما أمر القرآن الكريم، وذلك بالرغم من معاناة أمناء صندوقه الصبورين. وبالمثل حزن أخوه العادل لحال السجناء الألف الذين طلبهم من صلاح الدين لقضاء احتياجاته الخاصة فأطلق سراحهم فوراً. وقد ذهل كل الزعماء المسلمين برؤية أثرياء المسيحيين وهو يهربون بشرواتهم، وقد كان بإمكانهم افتداء كل السجناء. حتى البطريرك هيراكليوس، دفع عشرة دنانير فدية شأنه شأن البقية. والأكثر من ذلك أنه زود بمرافق خاص لحراسة

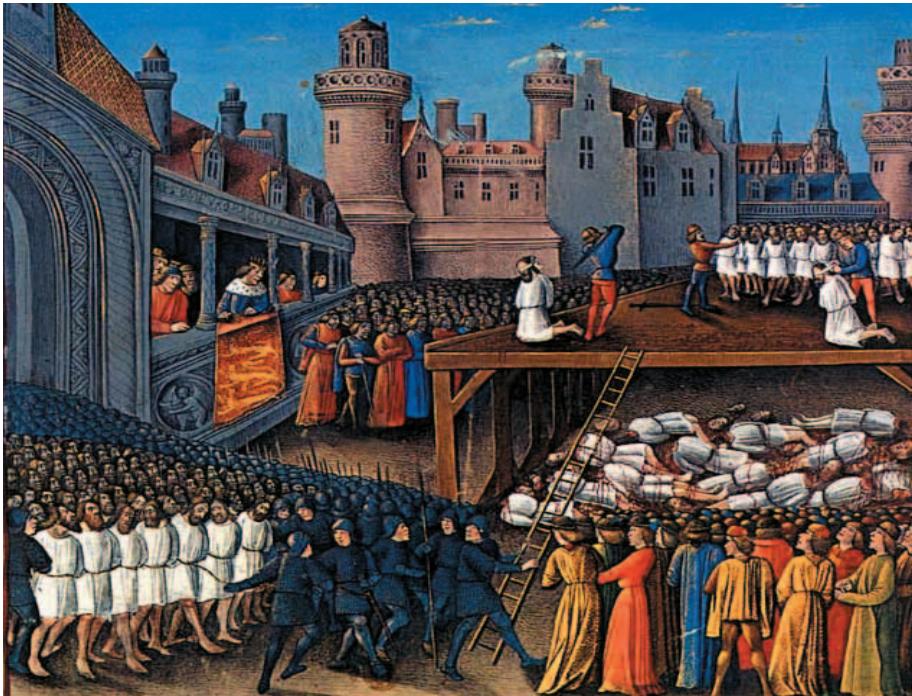


في هذه المذبحة البشعة، تم القضاء على السلام والوئام الذي دام في فلسطين منذ عهد عمر بن الخطاب. وانتهك الصليبيون كل القيم الأخلاقية للمسيحية، دين الحب والرحمة، ونشروا الرعب باسم الدين.

عدل صلاح الدين الأيوبي

اتخذ الجيش الصليبي البربرى من القدس عاصمة له، وأسس الممملكة اللاتينية التي بدأت من فلسطين. وبالرغم من ذلك لم يدم وجود الصليبيين الذين جلبوا الوحشية معهم إلى فلسطين. فقد جمع صلاح الدين كل الممالك المسلمة تحت راية الجهاد، وهزم الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧ . وبعد المعركة أسر قائدى الجيش الصليبي، أرنولد والملك جودفري، وأحضارا أمام صلاح الدين. وقام صلاح الدين بقتل أرنولد الذى اشتهر بمذابحه الفظيعة ضد المسلمين، ولكنه أطلق سراح الملك جودفري الذى لم يرتكب الجرائم نفسها. وعرفت فلسطين مرة أخرى المعنى الحقيقي للعدل.

بعد معركة حطين، وفي نفس تاريخ ليلة الإسراء والمعراج، دخل صلاح الدين القدس وحررها بعد ٨٨ عاماً من الاحتلال الصليبي. وكان الصليبيون قد قتلوا كل المسلمين في المدينة خلال هذه الأعوام، لذلك فقد خافوا أن يفعل بهم صلاح الدين



"أعدم الملك ريتشارد قلب الأسد، بلا رحمة ٣٠٠٠ مسلم من المدنيين، من بينهم العديد من النساء والأطفال".

حكم الإمبراطورية العثمانية العادل والمتسامح

في عام ١٥١٤ م ، فتح السلطان سليم القدس والمناطق المحيطة بها، وبدأت ٤٠٠ سنة من الحكم العثماني في فلسطين. وكما في الممالك العثمانية الأخرى، تمنتت فلسطين بالسلام والاستقرار وتسامح أصحاب الديانات المختلفة فيما بينها.

وقد أديرت الإمبراطورية العثمانية بما يسمى—"النظام القومي"، وكانت الميزة الأساسية لهذا النظام أنه سمح لذوي الديانات المختلفة التعايش معا طبقاً لمعتقداتهم وبما لا يتعارض مع النظام القانوني. وقد وجد أهل الكتاب، المسيحيون واليهود،

٢٥ كنزة خلال رحلته إلى بلده"

باختصار عامل صلاح الدين وجميع المسلمين، وهم في أوج انتصارهم، المسيحيين بالرحمة والعدل وبلا حدود، حتى أنهم أظهروا نحوهم رحمة أكثر من زعمائهم أنفسهم. وإلى جانب المسيحيين، عاش اليهود أيضاً في سلام وأمن بعد فتح المسلمين للقدس. وقد عبر الشاعر اليهودي الأسباني المعروف يهودا الهازيزي عن مشاعره في أحد فقال:

"شاء الله بأن لا تبقي القدس بأيدي أبناء يسوع، وهكذا في عام ١١٩٠ استحدث الله روح صلاح الدين، ذلك الرجل العاقل الشجاع الذي أتى في جيش مهول، وحاصر فلسطين وفتحها وأعلنها صريحة مدوية أنه سيستقبل ويقبل كل أبناء إبراهيم، من أي مكان يأتوا منه. وهكذا فقد أتينا من كل ركن في العالم لنعيش هنا. ونحن الآن نعيش في ظل السلام"^{٢٦}

بعد القدس، استمر الصليبيون في همجيتهم والمسلمون في عدليهم في مدن فلسطين الأخرى. وفي عام ١١٩٤ ، أسر ريتشارد قلب الأسد، الذي صور كبطل عظيم في تاريخ بريطانيا، والذي نفذ حكم الإعدام في ثلاثة آلاف مسلم ومسلمة ومن بينهم أطفال بكل وضاعة وحقاره. ورغم رؤية المسلمين لهذه الوحشية، إلا أنهم لم يردوا بنفس الطريقة، فقد التزموا بقول الله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْدِلُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىِ الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة : ٢)

ولم يلحوذوا أبداً للعنف ضد المدنيين الأبرياء، حتى في حالات الضرورة القصوى، بل وحتى ضد الجيوش الصليبية المنهزمة".

وذكرت همجية الصليبيين وعدالة المسلمين كحقيقة تاريخية: الحكم الذي بني على تعاليم الإسلام مكن أصحاب الديانات المختلفة من التعايش معاً. واستمرت هذه الحقيقة لمدة ٧٠٠ عام بعد صلاح الدين، وخاصة خلال الحكم العثماني.



"كانت الإمبراطورية العثمانية تمثل دولة الإسلام، ورغم ذلك منحت الحريات الدينية. وقد وجدت فييفسae لثقافات متعددة مسامحة داخل الأراضي العثمانية. وكما نرى في هذه الصورة ، حكمت الدولة مواطنيها طبقاً لتعاليم الإسلام، وساعدت الفقراء منهم بغض النظر عن دينهم".



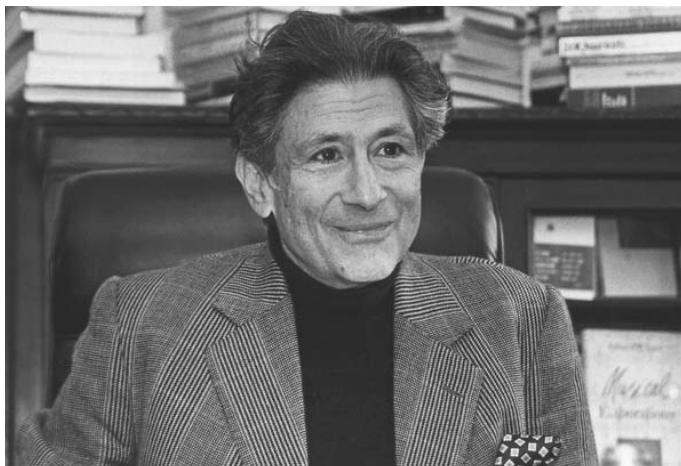


"بالرغم من انتساب الكاثوليك والبروتستانت إلى الدين نفسه فقد حدثت عداوات كبيرة بينهما خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. ومازالت هذه العداوات متواصلة إلى حد الآن، وأكثر الفئات تضرراً من هذه النزاعات هم الأطفال الأبرياء"

كل الأمان والحرية في الأراضي العثمانية.

والسبب الأكثر أهمية لذلك هو رغم أن الإمبراطورية العثمانية كانت دولة إسلامية حكمها المسلمون إلا أنهم لم يحاولوا إجبار المواطنين على اعتناق الإسلام. وكان هدف الدولة العثمانية توفير الأمن والأمان لغير المسلمين، وأن يشعرونهم بالرضا والارتياح في ظل الحكم الإسلامي العادل.

في نفس الوقت كانت هناك دولة عظمى أخرى وكانت تعج بمشاهد الظلم والقسوة والتعصب. إنها مملكة أسبانيا التي لم تتحمل وجود المسلمين واليهود على أرضها وأوقعت في كلتا الجماعتين ظلماً شديداً. وفي العديد من البلدان الأوروبية



"إدوارد سعيد، خبير
مشهور في أمور
الشرق الأوسط"

وقد لفت العديد من العلماء والمؤرخين السياسيين الانتباه لهذه الحقيقة. واحد من هؤلاء هو العالم المشهور خبير الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا الأستاذ إدوارد سعيد، وهو في الأصل من القدس من عائلة مسيحية. وقد أكمل دراسته بعيداً عن موطنها في الجامعات الأمريكية. وفي مقابلة مع صحيفة هايرتز الإسرائيلية أوصى باتباع "النظام القومي العثماني" إذا ما أرادوا بناء سلام دائم في الشرق الأوسط، فقال:

"يمكن أن تعيش الأقلية اليهودية وسط العالم العربي كما تعيش أقليات أخرى. وقد نجح هذا التعايش في الإمبراطورية العثمانية في ظل "النظام القومي" حيث ظهروا إنسانية أكثر مما نظيره نحن الآن"^{٢٧}

يشهد التاريخ بأن الإسلام هو النظام العقائدي الوحيد الذي تظهر حكوماته في الشرق الأوسط عدلاً وتسامحاً ورحمة. وحتى الآن ليس هناك بدائل عن الدولة الإسلامية العثمانية التي انتهت بانتهاء الحكم العثماني من المنطقة. لهذا السبب فإن الطريق لإحلال السلام بالشرق الأوسط هو اتباع نموذج الحكم العثماني الذي تميز بالتسامح والتآلف، وتلك هي التعاليم الأساسية للقرآن.

Kudüs'e Osmanlı çözümü

Ortadoğu bensinin en zorlu gündem maddesini olusturan Kudüsün statüsü ile ilgili, Türkmenin, Osmanlı'nın bölgede uyguladığı



"تعيش الثقافات المتعددة، رغم اختلافها، في الدولة العثمانية مثال واضح على السلام في الشرق الأوسط، حيث أسس الحكم على تعاليم القرآن الداعية للعدل والتسامح. ونرى في هذه الصورة بعض القصاصات من الأخبار والصحف والجرائد التركية حول الطبيعة المسالمة للحكم العثماني".

الأخرى اضطهد اليهود فقط لأنهم يهود (على سبيل المثال فقد سجنوا في أحياه اليهود) وفي أحيان أخرى كانوا ضحايا مذابح جماعية "مدبرة". وحتى المسيحيون لم يتمكنوا من التعايش مع بعضهم البعض: فقد وقعت أوروبا في حمام من الدم في القرنين ١٦ و ١٧ نتيجة القتال بين الكاثوليك والبروتستانت. وقد حولت حرب الثلاثون عاما من ١٦١٨ إلى ١٦٤٨ أوروبا إلى ساحة للقتال. وفي ألمانيا وحدها قتل ثلث السكان البالغ عددهم ١٥ مليون شخص.

في الحقيقة، في مثل هذه البيئة كان حكم الدولة العثمانية بلا شك حكما إنسانيا فريدا.

الجذور الحقيقة للإرهاب :

الدارونية والمادية

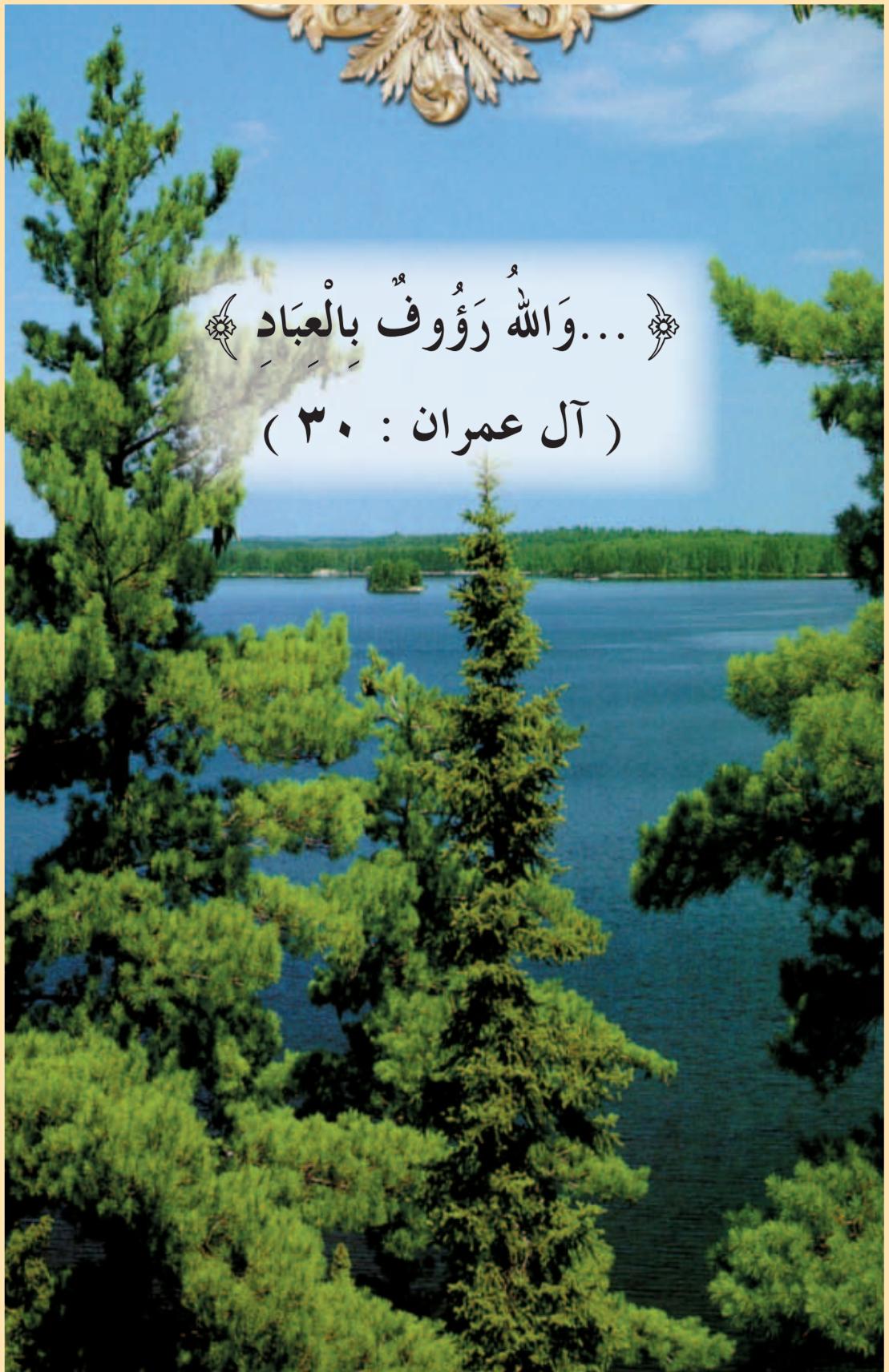
يعتقد معظم الناس أن شارلز دارون هو أول من وضع نظرية التطور، وأنها ترتكز على الدلائل العلمية والتجارب واللاحظات. ولكن في الحقيقة لم يكن دارون هو منشئها ولم ترتكز هذه النظرية على البرهان العلمي. فهي مبنية على مبدأ التكيف مع الطبيعة المأخوذ من الفلسفات المادية القديمة. فهي تستند، وبشكل أعمى على الفلسفات المادية ولا تؤيد بأي اكتشافات علمية . (يمكن الرجوع لكتاب هارون يحيى: "خداع نظرية التطور").

وهذا التعصب جلب على العالم العديد من الكوارث.

وبانتشار الدارونية والمادية معاً تغيرت إجابة

السؤال عن "ماهية

﴿...وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾
(آل عمران : ٣٠)



ستفني القرود البشرية بالتأكيد. وستتسع الفجوة بين الإنسان وأقرب أشباهه..."

٢٨

يوضح عالم الإنسانيات الهندي لاليتا فيدييار ذي كيف أن نظرية دارون للتطور فرضت العرقية على العلوم الاجتماعية :

"رحب علماء اليوم بحرارة بنظرية البقاء للأصلح لدارون، ويعتقدون أن البشرية قد أنجزت مستويات متعددة من التطور والتي توجهت في حضارة الرجل الأبيض . وقد قبل أغلبية العلماء الغربيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حقيقة العرقية"^{٢٩}

مصادر إلهام دارون : نظرية عدم الرحمة عند مالثيس

كان مصدر إلهام دارون في هذا الموضوع هو كتاب الاقتصادي البريطاني توماس مالثيس "مقال في قواعد الانفجار السكاني". وطبقاً لحساباته الخاصة قال مالثيس إن الزيادة في السكان سيكون سريعة، ومن وجهة نظره الخاصة فالمؤثرات الرئيسية التي حافظت على توازن زيادة السكان هي الكوارث مثل الحروب والأمراض والمجاعات. وباحتصار ، وطبقاً لهذا الرأي القاسي، كان يجب أن يموت بعض الناس ليعيش الآخرون. فجاء الوجود ليعني حرباً دائمة. وقد قيلت أفكار مالثيس في القرن التاسع عشر بشكل واسع. وقد دعم أفكاره مثقفو الطبقة الراقية من الأوروبيين بالتحديد. وفي مقال "الخلفية العلمية للنازية (التطهير العرقي)" وصف جيري بيرجمان أهمية اعتناق أوروبا في القرن ١٩ لأفكار مالثيس



توماس مالثيس

الإنسان"؟ فقد بدأ الناس في الاعتقاد أن "الإنسان خلق بالصدفة، وهو حيوان يتطور من خلال الصراع من أجل البقاء" وهذا بعد أن كان الناس يعتقدون أن "الله هو الذي خلق الإنسان وبالتالي عليه أن يتبع تعاليم الله السامية". وقد دفع ثمنا باهضا نتيجة هذا الخداع الكبير. فقد استندت العديد من الأيدلوجيات المدمرة وآراء العالم البربرى إلى النظرية المضللة "الصراع من أجل البقاء"، مثل العرقية والفاشية والشيوعية. ستناقش في هذا الجزء من الكتاب الكارثة الداروينية التي ظهرت للعالم ونكشف ارتباطها بالإرهاب، أحد أكبر المشاكل العالمية الهامة في وقتنا الحاضر.

كذبة دارون : "الصراع من أجل البقاء"

اعتمد دارون في نظريته على قاعدة أساسية واحدة: يعتمد تطور الكائنات الحية على الصراع من أجل البقاء. والبقاء للأقوى، والفناء والزوال للأضعف.

وطبقا لنظرية دارون هناك صراع ونزاع عنيف من أجل بقاء أبدي في الطبيعة حيث يتغلب القوي على الضعيف دائما، مما يمكن من حدوث التطور. والعنوان الفرعى الذى أعطاه لكتابه "أصل الأنواع" يوجز رأي دارون وهو "أصل الأجناس بالاختيار资料 أو بحماية الأجناس الأقوى في الصراع من أجل البقاء".

علاوة على ذلك ، فقد افترض دارون أن "الصراع من أجل البقاء" قد طبق بين المجموعات الإنسانية العنصرية. وطبق عليها الرعم الأسطوري، وكانت الأجناس الأقوى والأسمى منتصرة في هذا الصراع . والأجناس السامية المفضلة في نظر دارون هي الأجناس الأوروبية البيضاء. أما الأجناس الأفريقية والآسيوية فقد تخلفت في الصراع من أجل البقاء.

وذهب دارون بعيدا عندما افترض بأن هذه الأجناس ستفقد رغبتها في الصراع من أجل البقاء، وهكذا تختفي إلى الأبد:

"في المستقبل القريب إذا ما قيس بالقرون، بلا شك ستنتصر الأجناس البشرية المتحضرة وستحل مكانها الأجناس الهمجية في العالم كله. وفي نفس الوقت

الصراع من أجل البقاء ، وهكذا سيتوازن ذلك التزايد السريع في عدد السكان. وقد نفذ ما يسمى بـ "اضطهاد الفقراء" في القرن ١٩ في بريطانيا.

وعندما بدأت المتطلبات الصناعية بدأ عمل الأطفال ذوي الثمانية والتاسعة أعوام لمدة ستة عشر ساعة يوميا في مناجم الفحم، حيث مات الآلاف نتيجة ظروف العمل القاسية. وهكذا أدت دعوة مالثيس إلى الصراع من أجل البقاء إلى حياة مليئة بالألم لملائين من البريطانيين.

طبق دارون فكرة الصراع على الطبيعة كلها متأثرا بهذه الأفكار، واقتصر بأن الأقوى والأصلح هو المنتصر في هذا الصراع من أجل البقاء. وعلاوة على ذلك ، فقد ادعى بأن الصراع من أجل البقاء هو قانون مبرر وثبت في الطبيعة. ومن ناحية أخرى دعى الناس لترك معتقداتهم الدينية وإنكار الخلق، وهكذا تُهدم كل القيم الأخلاقية التي ربما تكون عائقا أمام الصراع المريض من أجل البقاء.

في القرن العشرين دفعت الإنسانية ثمنا باهظا لانتشار هذه الأفكار التي قادت الناس إلى العنف والقسوة.

دور نظرية دارون في التحضير للحرب العالمية الأولى

بدأ ظهور تأثير نظرية الصراع من أجل البقاء على التراث الأوروبي نتيجة الهيمنة الدارونية. وب بدأت الدول الأوروبية المستعمرة بالتحديد في وصف الدول التي يريدون استعمارها بأنها "دول متخلفة" مبررين ذلك بالنظرية الدارونية.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى عام

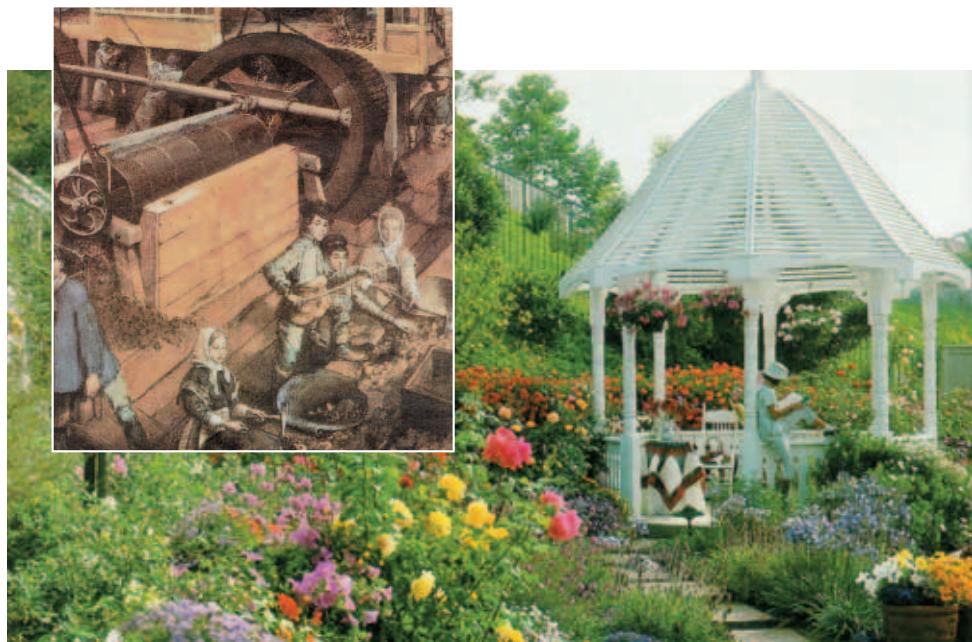


"أوروبا منذ ١٨٧٠" ، لأستاذ التاريخ الإنجليزي جيمس جول"

حول الزيادة السكانية:

"في أوائل القرن التاسع عشر، اجتمع أفراد الطبقات الحاكمة من كامل أوروبا وذلك لمناقشة "مشكلة السكان" وابتكر الطرق الالزمة لتطبيق اقتراح مالثيس، بزيادة معدل وفيات الفقراء: "بدلاً من توصية الفقراء بالنظافة يجب أن تشجع العادات المضرة. ويجب أن يجعل الشوارع أضيق في مدننا، ونحشد الناس في المنازل لمساعدة على انتشار الطاعون. ويجب أن نبني القرى في بلادنا بجوار برك راكدة، ونوصي بالاستقرار خاصة في أماكن المستنقعات المضرة بالصحة ... الخ ".^{٣٠}

و كنتيجة لهذه السياسة القاسية سوف يفني الضعفاء الذين فقدوا الرغبة في



"تطبيق نظرية مالثيس في القرن ١٩ بضرورة الصراع مدى الحياة جلب البؤس للأطفال والفقراء العاجزين في إنجلترا. والدين وحده هو الذي يضمن حماية الأطفال. ويمكن العيش في حياة طيبة فاضلة خالية من البؤس والألم فقط إذا ما اتبعنا تعاليم الدين السمحنة ومارستها"

١٩١٤ هي التأثير السياسي الأكشن دموية للدارونية .
في كتابه "أوروبا منذ ١٨٧٠" ، يوضح أستاذ التاريخ البريطاني الشهير
جيمس جول أن واحدا من أهم العوامل التي أعدت العالم للحرب العالمية الأولى هو
إيمان حكام أوروبا في ذلك الوقت بنظرية دارون.

ومن المهم أن ندرك كيفية اعتناق زعماء أوروبا لنظرية الصراع من أجل البقاء
والبقاء للأصلح في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى. وكمثال على ذلك،
كتب البارون فرانز كونراد، رئيس هيئة الأركان المجري في مذكراته بعد الحرب:
"بالتأكيد تعلم الأديان المُمحنة للبشر والتعاليم الأخلاقية والمذاهب الفلسفية
على إضعاف ذلك الصراع البشري المتواوح من أجل البقاء، لكنهم لن ينجحوا
في إضعافه ما دام موجوداً كدافع ومبرر. وطبقاً لهذا المبدأ وقعت الحرب
العالمية الأولى كنتيجة لقوى المحفزة في حياة الدول والناس، تماماً مثل
العاصفة الرعدية التي يجب أن تطلق بمحض طبيعتها".

وفي ظل هذه الأيديولوجية، أصبح مفهوم إصرار كونراد على الحاجة لحرب
وقائية للحفاظ على الحكم الملكي المجري.

وقد رأينا أن هذه الآراء لم تنحصر فقط في الميادين العسكرية، فقد اهتم
ماكس ويبر كثيراً بالصراع الدولي من أجل البقاء . ومرة أخرى كتب كورت ريزليير
المساعد والمستشار الشخصي للمستشار الألماني يثوبالد فون بيشمان ، في عام
١٩١٤ :

"إن العداوة الدائمة المطلقة الملزمة لطبيعة العلاقات بين الناس، والتي نلاحظها
في كل مكان، ليست نتيجة إفساد الطبيعة البشرية، لكنها جوهر العالم ومصدر
الحياة نفسها" ^{٣١}

ربط الجنرال فريدرريك فون بيرناردي بين الحرب وقوانين الصراع في الطبيعة.
فقد أعلن أن الحرب "ضرورة بيولوجية" وهي "ضرورية تماماً مثل صراع عناصر
الطبيعة" وهي "لا تعطي قراراً بيولوجياً صحيحاً حيث ترتكز قراراتها على طبيعة
الأشياء" ^{٣٢}



"استحوذت نظرية دارون "الصراع من أجل البقاء" على فلاسفة وزعماء وسياسيو أوروبا في العقد الأول من القرن العشرين. وكان حماسهم بداية لحرب كبرى، تلك الكارثة العظيمة التي أودت بحياة ١٠ ملايين إنسان".

وَكَمَا رأيْنَا، فَقَدْ اندلَعَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الْأُولَى بِسَبَبِ الْمُفْكِرِينَ وَالْحُكَّامَ وَالرَّؤُسَاءِ الْأَوْرَبِيِّينَ الَّذِينَ رَأُوا الْحَرْبَ وَإِرَاقَةَ الدَّمَاءِ وَالْمَعَانَةِ نَوْعًا مِنَ التَّطْوِيرِ، وَاعْتَقَدوْا أَنَّهَا قَانُونَ الطَّبِيعَةِ الثَّابِتِ. وَالْمَذَهَبُ الْفَكَرِيُّ الَّذِي أَدَى بِكُلِّ هَذَا الْجِيلِ إِلَى ذَلِكَ الدَّمَارِ لَمْ يَكُنْ سَوْيِ مَفَاهِيمِ دَارْوُنَ "الصَّرَاعُ مِنْ أَجْلِ الْبَقاءِ" وَ"الْبَقاءِ لِلْأَصْلَحِ".

تَرَكَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الْأُولَى خَلْفَهَا ٨ مَلَيْيَنَ قَتِيلًا، وَمِئَاتَ مِنَ الْمَدَنِ الْمُخْرَبَةِ، وَمَلَيْيَنَ الْمُشَرَّدِينَ وَالْعَاطِلِينَ وَالْمَعْوَقِينَ وَالْمَصَابِينَ. وَالسَّبَبُ الْأَسَاسِيُّ لِلْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، الَّتِي اندلَعَتْ بَعْدِ ذَلِكَ بِوَاحِدِ وَعَشْرِينَ عَامًا وَخَلَفَتْ ٥٥ مَلَيْيَنَ قَتِيلًا كَانَ مُسْتَنْدًا أَيْضًا عَلَى الدَّارْوُنِيَّةِ.





"الفاشية التي بنيت على مفاهيم دارون، كانت السبب في قتل ملايين الأبرياء. وقد جرت هذه العقيدة المروعة العديد من بلدان العالم إلى دوامة الدمار والبؤس.".

الطريق الذي مهدت له الداروينية: الفاشية

يمكن أن نرى تأثير دارون القوي في المذهب النازي. فعندما ندرس تلك النظرية التي اعتقدها هتلر وألفريد روزنبرج، سنصادف مفاهيم مثل "الاختيار الطبيعي" و"القتل الانتقائي" و"الصراع بين الأجناس من أجل البقاء" والتي تكررت مئات المرات في أعمال دارون. وعندما سمي كتابه "كافحني" نرى أن الصراع الدارويني من أجل البقاء ومبدأ البقاء للأصلح هما الذان ألهما هتلر. فهو يتحدث في هذا الكتاب خاصة عن الصراع بين الأجناس فيقول:

"سيتوج التاريخ إمبراطورية الألفية الجديدة بالعظمة والتميز، العظمة التي تستند على التسلسل العنصري والذي حددته الطبيعة نفسها".^{٣٣}

وفي عام ١٩٣٣ خلال اجتماع حزب نورمبرج صرخ هتلر قائلاً:
"يجب أن يخضع الجنس الأدنى للجنس الأسماى، وهذا هو ما نراه في الطبيعة
وهو ما نعتبره الشيء الوحيد المعقول"^{٣٤}

تأثير النازيون بالداروينية هي الحقيقة التي قبلها كل المؤرخين والخبراء تقريباً. بين بيتر كرسوب، مؤلف كتاب "صعود الفاشية"، هذه الحقيقة كالتالي :

"في بداية نشرها سحر الناس من نظرية دارون التي تدعي أن أصل الإنسان قرد، ولكنها انتشرت وقبلت بعد ذلك. وقد



"النازية ، وهي مزيج من الداروينية الاجتماعية والوثنية الجديدة، قتلت الملايين ونشرت الرعب في قلوب الآخرين"

"تسربت الحرب العالمية الثانية في قتل ٥٥ مليون إنسان، وجرح ملايين آخرين، وشردت أعداد كبيرة أخرى. وتسببت في دمار المدن وانهيار الاقتصاد ."





"زعماء الشيوعية، الذين بناوا أفكار المجتمع الانساني استنادا على الداروينية، سيسقطون من ذاكرة التاريخ لما سيبيوه من ألم شديد بسياساتهم القاسية".

الاجتماع^{٣٧}

قال تروتسكي "اكتشاف دارون هو أهم نصر للجدل في موضوع الأصل"

٣٨

وقد كان لتعاليم دارون الدور الرئيسي في تشكيل كوادر الشيوعية. فعلى سبيل المثال، يلاحظ المؤرخون حقيقة أن ستالين كان شابا متدينا، ولكنه أصبح ملحدا بعد قراءته كتب دارون.

ماو تسيتونغ، مؤسس الحركة الشيوعية في الصين، والذي قتل الملايين من الناس، صرخ علينا قائلا: "تأسست الاشتراكية الصينية على نظرية دارون للتطور"^{٣٩}

جيمس ريف، المؤرخ بجامعة هارفارد، يناقش في بحثه "الصين ودارون" بالتفصيل تأثير الداروينية على ماو والشيوعيين الصينيين.

حرف النازيون نظرية دارون واستعملوها لتبير الحروب العرقية^{٣٥}

يصف المؤرخ هيكمان تأثير الدارونية على هتلر كالتالي:

"كان هتلر شديد الإيمان بالتطور . ومهما كان غامضاً ومعقداً ومحظياً عقلياً،

إلا أنه كان متأكداً من أهمية مفهوم الصراع، وقد عرض بوضوح عدداً من

أفكاره التطورية في كتابه "كافاري"، خاصة تلك التي تؤكد الصراع والبقاء

لالأصلح وإبادة الضعيف ليصبح المجتمع أفضل"^{٣٦}

هتلر، الذي ظهر بهذه الآراء، قاد العالم إلى عنف لم يسبق له مثيل في أي مكان. وقد تعرضت العديد من المجموعات العرقية والسياسية، وخاصة اليهود، للقصوة والمذابح البشعة في معسكرات الاعتقال النازية. وقد قضى الحرب العالمية الثانية والتي بدأت بالغزو النازي على حياة ٥٥ مليون شخص. وكان مفهوم الدارونية "الصراع من أجل البقاء" هو السبب وراء تلك المأساة الكبيرة في تاريخ الإنسانية.

التحالف الدموي: الدارونية والشيوعية

إذا كانت الفاشية هي الجناح الأيمن للدارونية الاجتماعية، فإن الشيوعية قد مثلت الجناح الأيسر لها . وقد كان الشيوعيون دائماً من أعنف المدافعين عن النظرية الدارونية.

ترجع العلاقة في الأصل إلى مؤسسي هذه المذاهب. فقدقرأ كل من ماركس وانجلليس كتاب "أصل الأجناس" لدارون عندما ظهر مباشرةً، واندهشاً من فكرة المادية الجدلية. وتوضح المراسلات بين ماركس وانجلليس رأيهما في نظرية دارون على أنها "تحتوي أساس الشيوعية في التاريخ الطبيعي". وفي كتابه "جدل الطبيعة" الذي كتبه نتيجةً تأثره بدارون، كان انجلليس كثيراً في إعجاب به. وحاول أن يضيف مساهمته الخاصة إلى النظرية في فصل "دور العمال في التحول من قرد إلى إنسان" الشيوعيون الروس الذين اتبعوا خطوات ماركس وانجلليس، مثل بليخانوف ولينين وتروتسكي وستالين، اتفقوا كلهم مع نظرية دارون للتطور. بليخانوف ، الذي اعتبر مؤسس الشيوعية الروسية، اعتبر الماركسيّة مثل "الدارونية في تطبيقها لعلم



"طبقت الشيوعية الفكرية الدارونية للصراع على صراع الطبقات، وهكذا قبل القتل وإراقة الدماء كطرق شرعية للسيطرة"

باختصار، هناك صلة وطيدة بين نظرية التطور الشيوعية. تدعى النظرية بأن خلق الحياة والأحياء كان نتيجة الصدفة، وتدعم ما يسمى بالمساندة العلمية للإلهاد. والشيوعية عقيدة ملحدة، ولهذا السبب فهي ترتبط بشكل قوي بالدارونية. وعلاوة على ذلك تقترح نظرية التطور أن التطور في الطبيعة يعزى إلى الصراع "الصراع من أجل البقاء"، بل وتدعم مفهوم الجدل الذي يمثل أساس الشيوعية.

إذا نظرنا في مفهوم الشيوعية "الصراع الجدلية" والذي قتل بسببه ١٢٠ مليون إنسان خلال القرن العشرين على أنه ماكينة قتل، عندها فقط يمكن أن نجد فهم أبعاد الكارثة الدارونية التي حلت بالعالم.

الصراع الجدلية لم يتطور المجتمعات بل دمرها

وكم رأينا سابقاً، فإن الدارونية تفترض أن الصراع بين الكائنات هو سبب تطورها وهذا ما أكسبها ما يسمى بالانتشار العلمي لفلسفة المادية الجدلية. كما يمكن أن يفهم من اسمها، المادية الجدلية ترتكز على فكرة الصراع. وقد أذاع كارل ماركس مؤسس هذه الفلسفة تلك الفكرة: "إن لم يكن هناك صراع ومعارضة، ظل كل شيء كما هو". وقال أيضاً: "القوة المولدة لكل مجتمع قديم تحمل معها مجتمعاً جديداً" ٤٠

وبقوله هذا فإنه يدعو الناس للعنف وال الحرب وإراقة الدماء من أجل التطور. كان لينين أول من طبق نظرية ماركس في المجال السياسي. وقد كان لينين يؤيد فكرة مفادها أنه: "يحدث التقدم كنتيجة لصراع الأضداد" ويُدعى أن الناس ذوي الأفكار المختلفة يجب أن يكونوا في صراع دائم. وقد ذكر لينين مراراً أن هذا الصراع يتطلب إراقة دماء، أي الإرهاب. وقبل الثورة البلشفية بأحد عشر عاماً، نشر لينين مقالاً بعنوان "حرب العصابات" في البروليتاري عام ١٩٠٦، وهي توضح الطرق الإرهابية التي تبنوها:

" تلك الظاهرة التي نهتم فيها بالكافح المسلح، قادتها الجماعات الصغيرة.

حيث ينتمي البعض منها إلى المنظمات الثورية، والبعض الآخر (وهو يمثل الأغلبية في بعض أنحاء روسيا) لا ينتمي إلى أي منظمة ثورية. ويتبع الكفاح المسلح هدفين مختلفين، يجب أحدهما في الاعتبار: يهدف هذا الكفاح بالدرجة الأولى إلى اغتيال الأفراد والزعماء ورجال الشرطة والجيش. وفي المرتبة الثانية، يهدف إلى مصادرة الأموال النقدية من كل من الحكومة والأفراد. حيث تذهب تلك الأموال المصادرة إلى خزينة الحزب وتخخص للتسليح والإعداد للتمرد وتدريب الأفراد الذين يقومون به^{٤١}

في القرن العشرين، كانت هناك واحدة من أشهر المعتقدات التي قبلت بها الشيوعية، وهي الفاشية. المهم في الموضوع، أنه برغم إعلان الفاشية معارضتها للشيوعية، إلا أنها آمنت تماماً مثل الشيوعية بمفهوم الصراع. آمن الشيوعيون بضرورة الصراع الطبيعي، وببساطة غير الفاشيون مجال الصراع حيث ركزوا على الصراع بين الأجناس والدول. ويعتبر المؤرخ الألماني هينريتش تريتشل، واحد من أهم مصادر الأفكار النازية ومن أبرز العنصريين، فقد كتب يقول: "لا يمكن أن تردهر الأمم بدون صراع قوي، تماماً مثل نظرية الصراع من أجل البقاء لدارون"^{٤٢}

وقال هتلر أيضاً معتمدًا على مفاهيم دارون للصراع:
"في كل معالم الطبيعة صراع هائل بين القوة والضعف ونصر أبيدي للقوي على الضعيف. وكان من الممكن انهيار الطبيعة كلها لو لم يكن الأمر كذلك، فمن يحيا يجب أن يقاتل. ومن لا يرغب في القتال في هذا العالم، حيث الصراع هو قانون الحياة، ليس له الحق في الوجود"^{٤٣}

وقد آمنت هذه المعتقدات الدارونية الاجتماعية بضرورة الصراع وإراقة الدماء من أجل إنشاء مجتمع قوي، وما فعلوه وسببوه في القرن العشرين لا يخفى على أحد. فـ قتلت أعداد لا حصر لها من الأبرياء، وجروح عوّق آخرون، وانهارت اقتصادات وطنية، وأنفقت الأموال التي كان يجب أن تصرف على الصحة والأبحاث والتكنولوجيا والتربيّة والفن، على الأسلحة وتضميد الجراح التي سببها، وإعادة بناء المدن المخرّبة. وأصبح واضحاً بمرور الوقت أن ذلك الصراع والإرهاب لم يرق



من الطبيعي أن توجد الآراء المختلفة، لكنها لا يجب أن تكون سبباً للنزاع والحروب بين الناس. فالاحترام والتسامح المتبادل يمكن أن يضمن الاتفاق والمشاركة بين الفئات المختلفة. وتوضح تعاليم القرآن الكريم للناس حياة السعادة والطمأنينة، فالصراع الجدلي لا يجلب إلا الشقاء الدائم والموت والدمار".



وقد أطاع موسى أوامر الله وشرح لفرعون الدين الحقيقي بصبر عظيم، وذلك لكي ينهي فرعون إنكاره لوجود الله وقوته على الناس. وبالرغم من ذلك، اتخذ فرعون موقفاً عدائياً نحو موسى الصبور النبيل وهدد بقتله هو ومن يتباهي. ولكن في النهاية خاب فرعون وخسر سعيه، فقد غرق واتباعه بينما انتصر موسى ومن معه. وكما يوضح هذا المثال، انتصار رأي أو فكر من أجل التطور لا يأتي أبداً من خلال العداوة أو العدوان. ويعرض الخلاف بين موسى وفرعون درساً من دروس التاريخ العظيمة: فالمنتصر ليس من يتبع الصراع والظلم، ولكن المنتصر من يتبع طريق السلام والعدل. لذا فإن ممارسة المبادئ والأخلاقيات الرفيعة تظهر حسناتها في الدنيا والآخرة.



"قد يكون هناك خلاف بين الدول أو المجتمعات، ولكن الصراعات والحروب لا تحل المشاكل. وعلمنا القرآن الكريم أنه يجب حل هذه الخلافات بالصبر المتبادل والتسامح والرحمة والتفاهم".



بالتطور الإنساني بل على العكس أدى إلى دماره.

بالتأكيد هناك تناقضات في العالم. كما في الطبيعة هناك نور وظلمة، ليل ونهار، حر وبرد ، لذا فهناك اختلافات في طرق وممارسة وتطبيق الأفكار المختلفة. ولكن التناقض في الأفكار لا يستوجب الصراع. بل على العكس، إذا ما قوبلت هذه التناقضات بالتسامح والسلام والتفاهم والحب والرحمة فإنه من الممكن إنجاز نتائج جيدة جدا. فكل شخص يقارن فكرته الخاصة بأفكار الآخرين ربما يتطور فكرته أو يرى نقاطها فيعالجها. فهؤلاء الذين يدافعون عن الآراء المعاصرة يتمكنون من تبادل الأفكار أثناء الحديث أو يشغلون بالنقاش. لذا فإن الشخص المتواضع المتسامح المسالم المخلص الذي يتبع تعاليم القرآن الكريم هو فقط من يستطيع تطوير هذا التقارب والتفاهم.

أن تقتل إنساناً أو تسيء إليه بسبب أفكاره المختلفة، أو لأنه يؤمن بدين مختلف أو حتى لأنه ينتمي إلى جنس مختلف، عمل قاس وغير مقبول. لهذا السبب وحده، نرى على مر التاريخ وفي جميع أنحاء العالم كيف أن أبناء نفس الأرض يتصارعون مع بعضهم البعض حتى الموت ويقتل كل منهم الآخر بلا رحمة. ونرى أناساً من بلدان وجنسيات مختلفة يذبحون، بمن فيهم النساء والأطفال ، بشكل عشوائي. إن الشخص الوحيد الذي يمكنه فعل ذلك هو الذي يخلو قلبه من أية إنسانية. فهو عنده مجرد حيوان مفكر. وهو الشخص الذي لا يراعي الله في أعماله أو حتى لا يعتقد في وجوده.

ويكشف لنا القرآن الكريم أفضل المواقف التي يمكن أن نتخذها نحو الأفكار المعاصرة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الخلاف الذي حدث بين موسى وفرعون. وبالرغم من قسوة وعدوانية فرعون، فقد أرسل الله موسى يدعوه لدينه عز وجل، ووضح لموسى الأسلوب الذي يتبعه اتباعه فقال تعالى:

﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقَوْلًا لُّهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

(طه : ٤٣ - ٤٤)



"إن تعاليم القرآن الكريم ومبادئه وأخلاقياته هي السبيل الوحيد لضمان حياة أكثر استقراراً للأجيال القادمة"

والتعذيب. فالعنف والصراع والمفاهيم الشاذة والمنبوذة، تنتهي المبادئ الأخلاقية التي أرشد الله تعالى الإنسان إليها. وبالرغم من ذلك تظهر الدارونية الصراع والعنف والقتل على أنها مفاهيم مبررة وصحيحة وطبيعية ولا بد من وجودها.

لهذا السبب يرتكب البعض أعمال الإرهاب تحت اسم الدين مستخدماً مفاهيم ورموز الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، ولكننا على يقين بأن هؤلاء لا ينتمون إلى أي من تلك الأديان. بل هم دارونيون حقيقيون. فهم يختبئون تحت عباءة الدين، ولكنهم ليسوا مؤمنين حقيقيين حتى وإن ادعوا أنهم يخدمون الدين، ولكنهم في الحقيقة أعداء للدين والمؤمنين، وذلك لأنهم يرتكبون جرائم يشدد الدين على تحريمها، بل ويسيئون للدين أمام الناس.

لهذا السبب، فإن جذور الإرهاب التي ابتلي بها عالمنا ليست في أي من الأديان المقدسة، ولكنها من الإلحاد والذى نسميه في وقتنا الحاضر: "الدارونية والمادية".

الدارونية والإرهاب

وكم رأينا حتى الآن، فإن الدارونية هي أصل كل معتقدات العنف التي تسببت في كوارث للبشرية في القرن العشرين، فالمفهوم الأساسي وراء هذه المعتقدات والأساليب هو "قتال من ليس منا". وهناك اعتقادات وآراء وفلسفات مختلفة في العالم. ومن الطبيعي جداً أن تميز هذه الأفكار المتنوعة بمعارضة بعضها البعض. ويمكن أن تنظر هذه الاختلافات في الآراء إلى بعضها بإحدى طريقتين :

١. احترام وجود المعارضة ومحاولة تأسيس حوار معها. وتلك هي الطريقة الإنسانية. وتتوافق هذه الطريقة مع تعاليم ومبادئ القرآن الكريم.
٢. قتال الآخرين ومحاولة الاستفادة من تدميرهم، بمعنى آخر، التصرف مثل حيوان طائش. وتلجم المادية إلى هذه الطريقة التي تعتمد على الإلحاد.

فذلك الرعب الذي نسميه الإرهاب هو نتاج للطريقة الثانية. وعندما نأخذ في الاعتبار ذلك الخلاف بين الطريقتين يمكن أن نرى مدى تأثير فكرة كون : "الإنسان حيوان مقاتل" ، تلك الفكرة التي فرضتها الدارونية على الناس بشكل لا شعوري.

ربما لم تسمع تلك الجماعات ويسمع أولئك الأفراد الذين يلجهؤون للعنف والصراع عن الدارونية شيئاً، ولكن في النهاية هم يتتفقون تماماً مع المبادئ الفلسفية الدارونية. وما يدفعهم للإيمان بصحة هذه الآراء هو تلك الشعارات التي تستند عليها الدارونية مثل "البقاء للأقوى" و "الأسماك الكبيرة تتبع الصغيرة" و "الحرب هي الفضيلة" و "يتقدم الإنسان بشن الحروب". وعند إبعاد الدارونية نجد أن هذه الشعارات قد بقيت كلمات فارغة.

وفي الحقيقة، بإبعاد الدارونية، لن نجد أي فلسفة تؤيد الصراع. فالآديان الثلاثة المقدسة التي يعتنقها معظم سكان العالم وهي الإسلام والمسيحية واليهودية ترفض العنف وتحض على السلام والوئام وتحرم قتل الأبرياء أو تعريضهم للمعاناة والظلم

وبعد هذه المرحلة، يصبح من السهل غسل دماغ هؤلاء البشر، والذين لقنوا تلك الأفكار بالفعل خلال دراستهم وتحويلهم لأعداء للإنسانية يملكون ما يكفي من القسوة لقتل الأطفال الأبرياء. ويسهل لأي عقيدة مضللة جذب مثل هؤلاء الصغار. بل ويمكن أن يقوموا بأفعال قاسية وعنيفة تحت تأثير هؤلاء الإرهابيين. فالفاشية والشيوعية والعنصرية هي جماعات إرهابية تواجهت منذ القرن التاسع عشر كناتج مثل هذا المنهج في التربية.

وتمثل الخسارة الكبرى الثانية لمثل هذا النظام في التربية في البعد تماماً عن الدين، فقد انحصر العلم بالدين بين غير المتعلمين. وهكذا أصبح المتعلم بعيداً تماماً عن الدين بفعل الدارونية – المادية، وأصبح الدين شيئاً مقترباً من غير المتعلمين. وذلك هو سبب تطور الأفكار الخاطئة المؤدية للخرافات والتي سمح لها من ينافقون الدين بالسيطرة بسهولة تحت اسم الدين.

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر الأخيرة هي أوضح مثال على ذلك. فلا يمكن لمن يخاف الله ويحبه ويتوقع حسابه على أعماله أن يرتكب مثل هذه الأعمال التي ترك خلفها آلاف الجثث لأبرياء وآلاف الجرحى واليتمى من الأطفال. فالمؤمن يعلم أنه سيحاسب أمام الله على كل ضرر الحقه بإنسان وأن كل ذنب سيصبح مصدراً لعذابه في جهنم.

ونستنتج من هذا أن السبيل الأمثل للقضاء على الإرهاب هو إنهاء التربية الدارونية المادية، وتربية الصغار على مناهج مستندة على الاكتشافات العلمية الحقيقية وأن نغرس فيهم الخوف من الله والرغبة في التصرف بحكمة وتأن. وستكون ثمار مثل هذه التربية جماعة شعارها التسامح والسلام وبالتالي يكونون جديرين بالثقة.

كل من يرغب في السلام والطمأنينة عليه إدراك خطر الدارونية

حل هذه المشكلة يعتمد بشكل أساسي على الحرب بوجه خاص ضد الأكاذيب والتخلف من تلك الأفكار. فعلى سبيل المثال قد يسعى الشخص بجد لتنظيف البيئة المحيطة به من خلال جمع النفايات في صناديق، ولكن ستظل رائحة صناديق النفايات كريهة. مما يعني أن الحلول ستكون قصيرة الأجل. ويكمّن الحل الحقيقي في التنظيف الشامل لمصدر النفايات وإزالتها بالكامل. بمعنى آخر، فهذا الأمر يشبه قضاء سنوات في تنظيف مزرعة من الأفاعي السامة، وتركها تهرب، ثم تعجب من رؤيتنا لهذه الأفاعي تضر الناس من حولنا مرة أخرى. فالشيء المهم هو أن نقضي على تلك الأفاعي بالدرجة الأولى.

ولذلك، في الحرب على الإرهاب يتم البحث عن الإرهابيين واحداً تلو الآخر لمعاقبتهم، ولكن هذا الحل غير مؤثر وغير ناجح وغير دائم. والطريق الوحيد لاستئصال الإرهاب كلياً من على وجه الأرض هو أن نحدد المصادر الأساسية التي تصنع الإرهابيين والقضاء عليها. ومن ناحية أخرى، تعتبر المعتقدات الخاطئة والتربيّة السيئة التي تمارس في ضوئها مصدراً مهماً من مصادر الإرهاب.

في وقتنا الحالي، تعتبر الداروينية مادة أساسية في المناهج التعليمية في أكثر بلدان العالم. وهي تدرس باعتبارها حقيقة علمية.

فالصغار لا يدركون أن الذي خلقهم هو الله، وهو من وهبهم الروح والحكمة والضمير. ولا يخبرهم أحد أنهم سيحاسبون يوم القيمة على أعمالهم ويعاقبون بجهنم أو يكافئون بالجنة والخلود. بل على العكس فهم يلقنون أنهم أحفاد مخلوقات كانت حيوانات، وأنها جاءت إلى الوجود عن طريق المصادفة العشوائية.

وفي ضوء هذا التلقين يعتبر هؤلاء الصغار أنفسهم مخلوقات ضالة غير ملتزمة أمام الله ويررون أن بقاءهم ونجاحهم في المستقبل لا يأتي إلا من خلال الصراع.



خاتمة:

توصيات للعالم العربي

يهم العالم العربي اليوم بشأن المنظمات التي تمارس الإرهاب تحت اسم الإسلام وهو غير مخطئ في هذا الأمر. ومن الواضح أهمية محاكمة هذا الإرهاب الخارجي ومن يؤيده طبقاً لمعايير القضاء الدولي. و يجب أن نلاحظ تلك المسألة الهامة وهي أن اتباع استراتيجيات طويلة المدى ستتحقق حلولاً ناجحة لمثل هذه المشاكل.

ومما سبق، نرى أنه لا توجد صلة بين الإسلام والإرهاب الذي يعتبر جريمة ضد الإنسانية كلها. وعرضنا أيضاً التناقض التام والواضح في تعريف "الإرهاب الإسلامي"، ويمكن ان نورد الملاحظات المهمة التالية:

١. تتطلب الظروف الحالية أن تتصرف كل البلدان بالحذر والحيبة والحكمة . فسيناريو "صراع الحضارات" السيء الذي طرح، واحد من الأخطار التي تهدد العالم كله، ولن

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ
بَيْنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(الحديـد : ٩)

والى جانب المقاييس القضائية التي ستقدم لمكافحة الإرهاب ، هناك حاجة ماسة لإطلاق حملة تربية نشطة في جميع أنحاء العالم . ويجب أن تكون أساسيات هذه التربية هي كشف زيف الدارونية والمادية وتوضيح وشرح القيم العليا التي امرنا بها الله . ومن السهل العيش في سلام والاستقرار إذا ما طبقت القيم الأخلاقية للدين الحقيقي وبدون ردم هذا المستنفع لن يتخلص العالم من الكوارث . أملنا الوحيد هو أن هذه القيم ستساعد العالم على التخلص من الإرهاب وكل أشكال البربرية والوحشية المتعصبة الأخرى . وكدولة مسيحية ، تعرف الولايات المتحدة نفسها بأنها " أمة تحت حكم الله " ي يجب أن تكون صديقة للمسلمين

ويلفت الله انتباها إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم :

﴿ لَتَجَدَنَّ أَشَدَّ النَّاسَ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِوْ دَوَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجَدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِوْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيَّسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة : ٨٢)

ونرى في التاريخ أن بعض الجاهلين (مثل الصليبيين) الذين فشلوا في فهم هذه الحقيقة قد سبوا نزاعات بين الأديان . ولمنع تكرار مثل هذا السيناريو الذي يظهر بانتشار شعارات مثل " صراع الحضارات " أو " الجهاد ضد الغرب " يجب أن يتحد ويتعاون المسلمون والمسيحيون .

وتشير التطورات التي وقعت إثر هذه الأحداث الخطيرة إلى أن بذرة هذا التعاون قد بدأت تنبت . فهذا العمل الإرهابي الخطير الذي أرق المسلمين والمسيحيين أدى إلى محاولة العديد من المسيحيين معرفة الدين الإسلامي وجعل المسلمين يذلون مجھوداً أكبر في توضیح مبادئ الإسلام الحقيقة كما وردت في القرآن .

والأخبار السارة هي أن كل هذه التطورات ستوضح للناس نقاط القيم الإسلامية وستشيي نفوسهم من أي تمييز او إجحاف ضد المسلمين . وسيكون القرن الواحد والعشرون بإذن الله هو الوقت الذي سيعرف فيه الناس أن نشر قيم الإسلام هو الطريق الوحيدة لتحقيق السلام المنتظر على أرضنا .

يستفيد منه أحد. ويجب أن تتعلم شعوب العالم كيف يحب بعضها البعض ويتعايشوا جنبا إلى جنب في سلام ويتناقلون العلم فيما بينهم ويدرس كل منهم تاريخ الآخر وإنجازاته في الدين والأدب والفن والفلسفة والعلم والتكنولوجيا والتراث، وعندها سيغنى كل منهم حياة الآخر إغناء حقيقيا.

٢. يجب التوسع في نشر الأنشطة التي تعرض الإسلام الحقيقي. وينبغي ألا تكون محاربة الجماعات المتطرفة في البلدان الإسلامية هي الحل. بل على العكس، فمثل هذه السياسة ستدفع الناس إلى رد الفعل المعاكس. والحل هو نشر الإسلام الحقيقي وإيجاد المسلم القدوة الذي يتصرف ويعامل بقيم القرآن الكريم مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، والحرية والأخلاق والعلم والروحانيات والجمال وكل ما يوفر السعادة والرخاء للإنسانية. ويجب أن يشرح المسلمين القيم الأخلاقية للقرآن وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام. وتقع على كاهل المسلمين مسئولية الحفاظ على الإسلام من عبث هؤلاء الذين يسيئون فهمه وتطبيقه (مما يؤدي إلى مزيد من سوء الفهم للإسلام). ويتعين وضع الإسلام بين الأيدي الأمينة التي تعيش من خلال تطبيق القيم الإسلامية والسنّة المحمدية.

٣. يكمن المصدر الحقيقي للإرهاب في الجهل والتعصب. وتعد التربية هي الحل الأمثل للقضاء على الإرهاب. فالتربيّة هي التي تسحب البساط من تحت أقدام هذا الإرهاب، فالإرهاب ضد السلام تماماً، وهو لا يحترم الإسلام بل يؤذيه كما يؤذى المسلمين والإنسانية كلها.

٤. يجب ابتكار حلول تربوية طويلة الأمد لمكافحة الإرهاب الذي ينبع من الأيديلوجيات الشيوعية والفاشية والعنصرية. ففي العديد من دول العالم في وقتنا الحاضر تمثل المفاهيم الداروينية أساس النظام التعليمي. وكما وضحت سابقاً، فإن الداروينية أيدلوجية خاطئة ترى أن الإنسان حيوان تطور فقط من خلال الصراع من أجل البقاء، وهو الشيء الذي كون القواعد الأساسية للإرهاب، وهي الفكر الذي تنبأ بأن البقاء فقط للأقوى. وتعتبر نتائج الحروب فضيعة فهي مثل مستنقع كبير لن تكف عن إغراق العالم بالكوارث.

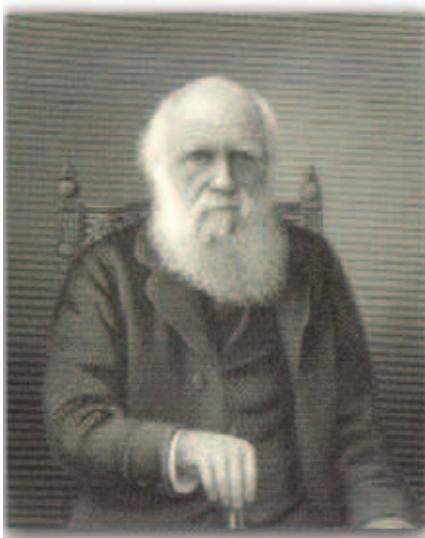
انهيار الداروينية

لقد ظهرت النظرية الداروينية، يعني نظرية التطور بهدف رفض فكرة الخلق، بيد أنها لم تنجح في ذلك، وأعتبرت مجرد سفسطة خارجة عن نطاق العلم. وهذه النظرية تدّعي أن الكائنات الحية تولدت بطريق المصادفة من الكائنات غير الحية، وقد تم ردها ونقضها بعد أن أثبت العلم أن الكون والكائنات الحية تحتوي على أنظمة غاية في الإعجاز. وعلى هذا النحو أثبت العلم كذلك أن الله تعالى هو خالق الكون وخالق جميع الكائنات الحية.

وهذه النظرية لا تقوم سوى على مناقضة الحقائق العلمية والأكاذيب التي ترتدي لباس العلم وحملة من التزييفات، وقد تم القيام بحملة واسعة على نطاق العالم لكي تبقى هذه النظرية قائمة على أقدامها، غير أن هذه الحملة لم تتمكن من إخفاء الحقيقة.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ

(سورة المائدة / ٥٥)



شارلز داروين

التي تواجهها نظريته، إلا أن ما أثبتته هذه الاكتشافات جاء عكس ما تمناه الرجل.
وتظهر هزيمة داروين أمام العلم الحديث من خلال ثلالث نقاط رئيسية:

١- لم تتمكن هذه النظرية بأي وسيلة من الوسائل أن تفسر كيف نشأت الحياة على وجه الأرض.

٢- لا يوجد أي اكتشاف علمي يدل على قدرة "التقنيات التطورية" التي تفترضها النظرية على التطور في أي حال من الأحوال.

٣- ما يثبته السجل الإحاثي هو عكس الادعاءات التي تقوم عليها نظرية التطور.

سنناقش في هذا الفصل هذه النقاط الثلاث الرئيسية:

العقبة الأولى التي لم تذلل: أصل الحياة

تقول نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية قد تطورت عن خلية وحيدة ظهرت على سطح الأرض البدائية منذ ٣,٨ ملايين سنة. ولكن كيف يمكن لخلية وحيدة أن ينشأ عنها الملايين من الأنظمة والأنواع الحية؟ وإذا كان هذا التطور قد حدث فعلاً فلماذا لم تظهر علاماته في السجلات الإحاثية ، هذا سؤال لم تتمكن النظرية الإجابة عليه. إلا أن السؤال الأول الذي بقي يواجه هذه النظرية، التي لم تجد جواباً عليه حتى الآن، هو كيف نشأت "الخلية الأولى".

تفسر نظرية التطور، التي لا تعترف بالخلق ولا تقبل بوجود خالق، نشوء الخلية الأولى على أنها أتت عن طريق الصدفة التي تتضمنها قوانين الطبيعة. حسب هذه

لقد تUALت الأصوات خلال الثلاثين سنة الماضية في دنيا العلم تبيّن بأن نظرية التطور تمثل أكبر خديعة في تاريخ العلم. وقد أثبتت الأبحاث التي أحيرت بشكل خاص اعتباراً من عام ١٩٨٠ بأن الإدعاءات الداروينية عارية تماماً من الصحة، وقد تم التصریح بذلك من قبل العديد من كبار رجال العلم. ففي الولايات المتحدة بشكل خاص، صرّح الكثير من علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية وعلم الحفريات وغيرها من العلوم الأخرى بأن الداروينية وصلت إلى طريق مسدود وأن أصل الكائنات الحية هو الخلق. واليوم تؤكّد التطورات العلمية بأن الكون وجميع الكائنات الحية قد خُلقت من قبل الله تعالى.

لقد تناولنا مسألة انهيار نظرية التطور ودلائل الخلق في مواضع كثيرة من أعمالنا، وسوف نواصل ذلك في أعمال أخرى. ولكن بالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع رأينا أنه من الفائدة إبراد ملخص لذلك في هذا الموضوع أيضاً.

الانهيار العلمي للنظرية الداروينية

بالرغم من أن هذه النظرية تعود في جذورها إلى التاريخ الإغريقي القديم، إلا أنها شهدت أوسع انتشار لها في القرن التاسع عشر. كان أهم تطور شهدته النظرية هو صدور كتاب تشارلز داروين "أصل الأنواع" الذي صدر عام ١٨٥٩. في هذا الكتاب ينكر داروين أن الأنواع المختلفة على الأرض قد خلقها الله. يقول داروين أن جميع الكائنات الحية لها جد مشترك وأنها قد تنوّعت واختلفت بسبب اختلافات طارئة متدرجة أتت عليها عبر الأزمان.

وكما يقر داروين نفسه، فإن نظريته لا تقوم على أي حقيقة علمية ثابتة، بل إنها مجرد "افتراض". علاوة على ذلك، يعترض داروين في فصل مطول من كتاب بعنوان "المصاعب التي تواجهها النظرية" أن النظرية تتھاوى أمام العديد من الأسئلة الحرجة.

عقد داروين آماله على الاكتشافات العلمية التي كان يظن أنها ستزيل العقبات

ما جاء به باستور بالإضافة إلى ما كشف عنه التقدم العلمي من البنية المعقدة لخلية المادة الحية، أبقيا فكرة وجود الحياة على سطح الأرض عن طريق الصدفة في مأزق لم تستطع الخروج منه.

المحاولات العاجزة في القرن العشرين

إن أول من تبنى موضوع منشأ الحياة في القرن العشرين كان التطوري المشهور ألكسندر أوبارين. تقدم هذا العالم بالعديد من الآراء العلمية في الثلاثينيات من ذلك القرن، حاول من خلالها إثبات إمكانية تطور خلية الكائن الحي عن طريق الصدفة. إلا أن دراساته لم تنته إلا بالفشل، مما حدا بأوبرين تقديم الاعتراف التالي: "للأسف، بقيت مشكلة منشأ الخلية الأولى أكثر النقاط غموضاً في دراسة تطور الأنظمة الحية".^{٤٥}

حمل التطوريون بعد أوبارين مسؤولية حل مشكلة منشأ الحياة. وكان أكثر هذه التجارب شهرة تلك التي قام بها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميلر عام ١٩٥٣. قام هذا العالم بدمج عدد من الغازات التي يفترض أنها كانت موجودة في المناخ البدائي للأرض، وأضاف إليها مقدار من الطاقة. من خلال هذه التجربة تمكّن ميلر من تركيب عدد من الحموض الأمينية (الجزئيات العضوية) التي تتوارد في تركيب البروتينات.

إلا أنه لم تمض عدة سنوات حتى ثبت بطلان هذه النظرية، التي كانت تعتبر خطوة رائدة في تقدم نظرية التطور، فالمناخ الذي استخدم في هذه التجربة كان مختلفاً جداً عن الظروف الأرضية الحقيقة.^{٤٦}

وبعد فترة من الصمت اعترف ميلر أن المناخ الذي استخدمه في تجربته كان غير حقيقياً.^{٤٧}

لقد باءت جميع محاولات التطوريين في إثبات نظريتهم في القرن العشرين بالفشل. يعترف العالم الجيولوجي بادا من معهد سكريبس في سانت ياغو بهذه

النظيرية تكون المادة الحية قد نشأت من مادة غير حية نتيجة للعديد من المصادرات، ومن المؤكد أن هذا الزعم لا يتوافق مع أبسط قواعد علم الأحياء.

الحياة تنشأ من الحياة

في هذا الكتاب، لم يتطرق داروين إلى أصل الحياة. فقد كان الفهم البدائي لحقيقة الحياة في عصره يعتمد على الإفتراض بأن الكائنات الحية ذات بنيات بسيطة جداً. لقد لاقت نظرية النشوء التلقائي التي انتشرت في القرون الوسطى، والتي تقول أن المواد غير الحية تجمعت من تلقاء نفسها لتشكل كائناً حياً، رواجاً واسعاً في ذلك الزمن. من الاعتقادات التي نجحت عن هذه النتيجة هي أن الحشرات تنشأ عن بقايا الطعام، وأن الجرذان تأتي من القمح. هنا يجدر بنا أن نتعرض لتجربة مضحكة قام بها البعض، حيث تم وضع بعض القمح على قطعة وسحة من القماش، وكان المنتظر أن يخرج جرذاً بعد برهة من الزمن.

ومن المنطقي ذاته كان يعتقد أن الديدان تخرج من اللحم؛ إلا أنه لم يثبت العلم أن ثبت أن الديدان لا تخرج من اللحم بشكل تلقائي، وإنما يحملها الذباب بشكل يرقانات لا ترى بالعين المجردة.

كان هذا الاعتقاد سائداً في الزمن الذي كتب فيه داروين كتاب "أصل الأنواع"، فقد كان يعتقد بأن البكتيريا جاءت إلى الوجود من مادة غير حية وكان هذا الاعتقاد مقبلاً علمياً.

لم يطل الوقت حتى أعلن باستور نتائج دراساته الطويلة وأبحاثه الكثيرة التي تدحض أساس نظرية داروين. قال باستور في محاضرته التي أعلنت فيها عن انتصاراته في السوربون عام ١٨٦٤:

"لا يمكن أن تستفيق نظرية النشوء التلقائي من الضربة الصاعقة التي أصابتها بها هذه التجربة البسيطة."^{٤٤}

قاوم المدافعون عن النظرية الداروينية اكتشافات باستور لوقت طويل. إلا أن

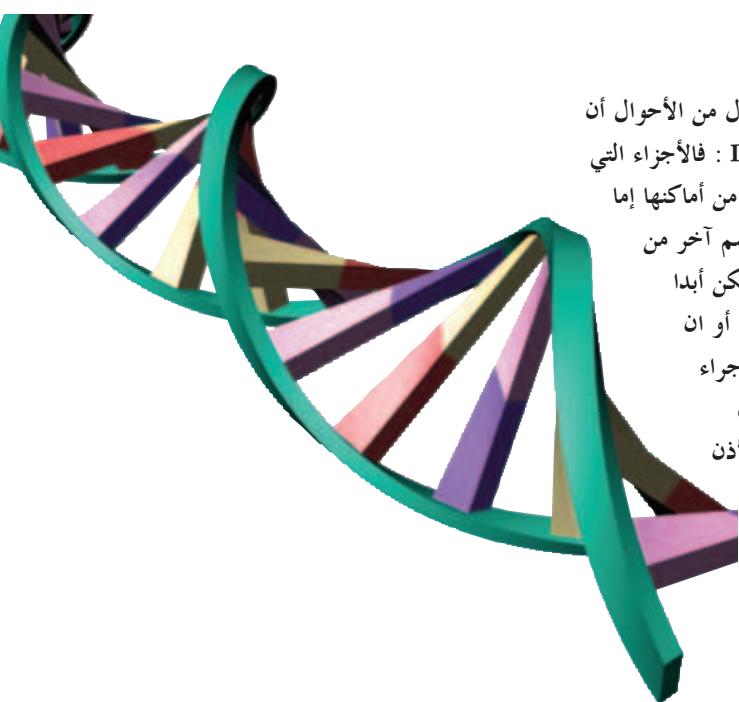
جامعة سانت ياغو كاليفورنيا بهذه الحقيقة من خلال موضوع نشر في مجلة العلوم الأمريكية عام ١٩٩٤ :

"من المستحيل أن تكون البروتينات والحموض الأمينية، وكلاهما جزيئات معقدة، قد نشأت من تلقاء نفسها في نفس الوقت وفي نفس المكان. أضف إلى عدم إمكانية تواجد أحدهما دون الآخر . وهكذا ومن النظرة الأولى يجد أحدنا أنه من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت من خلال عمليات كيميائية بحثة ٤٩"

لا شك أنه إذا كان من المستحيل أن تنشأ الحياة من أسباب طبيعية، فلا بد أنها قد "خلقـت" بيد خالق. هذه الحقيقة تلغي نظرية التطور ، والتي تهدف بالدرجة الرئيسية إلى إنكار الخلق، من أساسها.

الأفكار الخيالية لنظرية التطور

النقطة الثانية التي تدحض نظرية داروين هي أن كلا المفهومين اللذين وضعاهما النظرية كـ "تقنيات تطورية" ثبت أنها في الحقيقة لا تملك أي قوة تطورية. لقد اعتمد داروين في خدعة التطور التي خرج بها على فكرة "الاصطفاء الطبيعي".



إن الطفرات الوراثية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن أن تزيف معلومات جديدة لـ DNA : فالأجزاء التي تكون المعلومات الجينية عندما تنزع من أماكنها إما أن يحدث لها خراب أو تنتقل إلى قسم آخر من الـ DNA، فالطفرات الوراثية لا يمكن أبداً أن تكسب الكائن الحي عصوا جديداً أو أن تمنحه خاصية إضافية. ما يحدث من جراء الطفرات الوراثية أمور غير عادية كان تخرج الرجل من الظهر أو تخرج الأذن من البطن.

الحقيقة في مقالة نشرتها مجلة "الأرض" عام ١٩٩٨ :
"ها نحن اليوم نغادر القرن العشرين دون أن نتمكن من حل المشكلة التي بدأنا
القرن معها وهي : كيف بدأت الحياة على الأرض؟"^{٤٨}

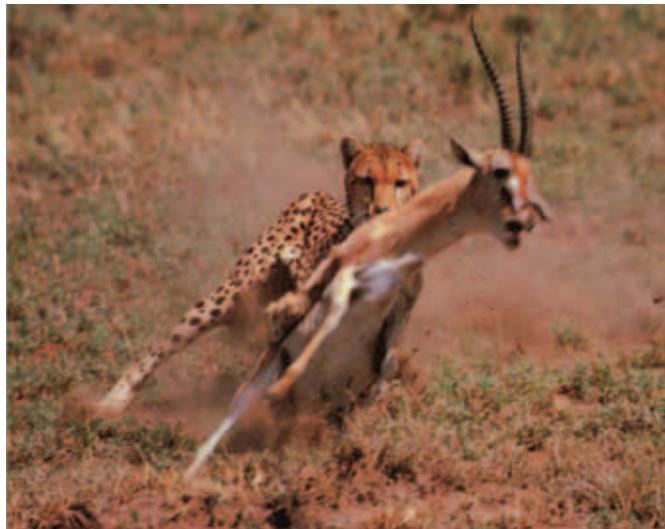
البنية المعقّدة للحياة

السبب الرئيسي الذي أوقع نظرية التطور في مأزق "كيف بدأت الحياة" هو أن الكائنات الحية، حتى البسيطة منها، تنطوي على بنيات في غاية التعقيد. فالخلية الواحدة من الكائن الحي أكثر تعقيداً من أي متحج تقني صنعه يد البشر. فحتى يومنا هذا لا يمكن لأي مختبر كيميائي مهما بلغت درجة تطوره أن ينجح في تركيب خلية حية من خلال تجميع عدد من المواد العضوية مع بعضها.

إن الظروف المطلوب توفرها لتركيب خلية حية هي أكثر بكثير من أن تُعرض. فإمكانية تركيب أحد البروتينات التي تعتبر حجر الأساس في الخلية بشكل عشوائي هي إلى ١٠٩٠٠ وهذا بالنسبة لبروتين مكون من ٥٠٠ حمض أميني؛ وفي الرياضيات يعتبر أي احتمال أصغر من ١٥٠ مستحيلاً!

إن جزيء الـ DNA الذي يتواجد في نواة الخلية والذي يخزن المعلومات الوراثية، هو في حد ذاته بنك معلومات معجز. فلو أن المعلومات المشفرة في جزيء DNA قد أفرغت كتابة فإنها ستشغل مكتبة عملاقة مكونة من ٩٠٠ مجلداً من الموسوعات كل منها يتتألف من ٥٠٠ صفحة.

وهنا تنشأ مشكلة أخرى مثيرة: فجزيء الـ DNA لا يمكنه أن يتضاعف إلا بمساعدة بعض البروتينات المختصة (الأنزيمات)، وهذه الأنزيمات لا يمكن أن تتشكل بدورها إلا من خلال المعلومات المشفرة في جزيء الـ DNA. وبما أن كل منهما يعتمد على الآخر ، فمن الضروري أن يتواجد في الوقت نفسه عند عملية التضاعف. وهذا يأتي بالنظرية القائلة أن الحياة قد نشأت من تلقاء نفسها إلى طريق مسدود. وقد اعترف البروفسور ليسلி أورجيل ، وهو تطوري مشهور من



ليس هناك أي مكسب حصل لنظرية الشوء والإرتقاء من فكرة الانتقاء أو الاختيار الطبيعي. ذلك لأن هذه الآية لم تعمل في يوم من الأيام على تطوير المعلومات الجينية أو إغناها لدى أي نوع من الأنواع. إنه لا يمكن لأي نوع أن يتغير إلى نوع آخر مختلف عنه؛ معنى أن التطور لا يمكن أن يغير نجم البحر فيصبح سمكة، أو يغير الأسماك فتصبح ضفدع، أو يغير الضفادع فتصبح تماسيح أو يغير التماسيح فتصبح طيوراً.

إلا أنه ما لبثت أن ظهرت قوانين الوراثة على يد العالم ماندل في القرن العشرين، مما أحبط أسطورة امتداد الصفات عبر الأجيال. وهكذا سقط الاصطفاء الطبيعي كدعاية من دعامت نظرية التطور.

الداروينية الجديدة والطفرات

ومن أجل الوصول إلى حل، قام الداروينيون بتطوير "نظرية تركيبية جديدة" أو ما يدعى بـ "الداروينية الجديدة" في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين. أضافت الداروينية الجديدة نظرية "الطفرات" وهي تشوهات جينية تطرأ على الكائن الحي وتحدث بفعل تأثيرات خارجية مثل التعرض إلى الإشعاعات وأخطاء في تضاعف الـ DNA، بالإضافة إلى الطفرات الطبيعية.

و النموذج الذي يقف مدافعاًاليوم عن نظرية التطور هو الداروينية الجديدة. تقول هذه النظرية الجديدة أن الملايين من الأحياء المتواجدة على سطح الأرض قد جاءت نتيجة لطفرات طرأت على الأعضاء المعقدة لهذه الكائنات مثل الآذان والعيون والرئات والأجنحة، أي إضطرابات وراثية. إلا أن الحقيقة العلمية تأتي في عكس الاتجاه المطلوب. فالطفرات لم تكن في يوم من الأيام إيجابية تؤدي إلى تقوية وتعزيز

وقد ضمن هذه الفكرة في كتابه: "أصل الأنواع ، عن طريق الاصطفاء الطبيعي..." يقول قانون الاصطفاء الطبيعي أن الكائنات الحية التي تمتلك خصائص قوية فقط هي التي يمكن أن تبقى في معركة الحياة. على سبيل المثال، عندما تهاجم الحيوانات المتواحشة قطبيعاً من الغزلان، فإن الغزلان الأقوى والتي يمكنها أن ترکض بسرعة أكبر هي التي ستنجوا وتبقى على قيد الحياة. وهكذا يتشكل قطبيع جديد من الأقوياء والسرعين فقط. ولكن، ولنفترض أنها سلمنا بهذا جدلاً، فهل يمكن لهؤلاء الأقوياء من قطبيع الغزلان أن يتطوروا بأي شكل من الأشكال ليصبحوا خيولاً مثلاً؟ بالطبع لا.

لذلك نقول أن هذه الفكرة لا قوة تطورية لها. داروين نفسه كان قلقاً بشأن هذه الحقيقة التي وضعها في كتابه *أصل الأنواع* حيث قال:

"لا يمكن لقانون الاصطفاء الطبيعي أن يحقق شيئاً ماله تحدث تغيرات فردية إيجابية".^{٥٠}

تأثير لامارك

ولكن كيف تحدث هذه "التغيرات الإيجابية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من خلال الفهم البدائي للعلوم في ذلك الوقت. فحسب نظرية لامارك الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تورث صفاتها التي اكتسبتها خلال حياتها إلى الأجيال التالية ، وهذه الصفات تتراكم من جيل إلى آخر لتتشكل أنواع جديدة من الكائنات الحية. فحسب لامارك، الزرافات هي كائنات تطورت عن الظباء عندما كانت تجاهد من أجل الوصول إلى الشمار التي تحملها الأشجار العالية، فطالت رقبتها من جيل إلى آخر حتى استقرت على هذا الطول.

وباقتناء أثره، أورد داروين مثلاً مماثلاً في كتابه فقال أن الدب غطست في الماء أثناء بحثها عن الطعام فتحولت إلى حيتان على مر الأجيال".^{٥١}

"الاصطفاء الطبيعي" أن ينجز شيئاً بنفسه. وهذا يعني أنه لا يوجد تكنيات تطور في الطبيعة. وبافتقاء وجود هذه التكنيات تنتفي عملية التطور.

السجالات الإحاثية: لا دليل على وجود أشكال مرحلية

في الحقيقة لا يوجد أي دليل في سجل المستحاثات على أكثر الادعاءات وضوحاً في سيناريو نظرية التطور.

حسب نظرية التطور، فإن كل كائن حي قد نشأ عن كائن قبله، أي أن الكائنات السابقة قد تحولت إلى كائنات أخرى، وكل الأنواع نشأت بهذه الطريقة. وحسب النظرية، فإن هذه التحولات استغرقت ملايين السنين.

وإذا كان هذا الافتراض حقيقياً، فمن الضروري وجود عدد كبير من الأنواع المرحلية التي عاشت في فترة التحول الطويلة. على سبيل المثال لابد من وجود كائن نصفه سمكة ونصفه سلحفاة يحمل صفات السلحفاة بالإضافة إلى صفات الأسماك التي يحملها أصلاً. أو كائنات نصفها طير والنصف الآخر زواحف، أي تحمل بعض صفات الطيور بالإضافة إلى صفات الزواحف التي تحملها أصلاً. وبما أنها في الطور المرحلي، فهي كائنات عاجزة غير مؤهلة، ومعاقبة؛ ويطلق التطوريون على هذه الأشكال الخيالية إسم "الأشكال التحولية"

لو كان هناك حيوانات كتلك حقاً، فيجب أن يكون هناك الملايين بل البلايين منها وبشكل متنوع. والأهم من ذلك يجب أن تحمل سجالات المستحاثات بقایا هذه الأحياء الغريبة. يقول داروین في كتابه "أصل الأنواع":

"إذا كانت نظريتي صحيحة، فلابد من وجود عدداً كبيراً من الأنواع المختلفة التي تصنف ضمن فئة واحدة، وهذا الوجود ستشبه السجالات الإحاثية".^{٥٣}



إن علماء الأحياء الذين هم من أنصار نظرية التطور قد أخذوا يبحثون عن نموذج مفيد للطفرات الأحيائية حيث عرضوا الذباب للطفرات الأحيائية منذ بداية القرن، إلا أنه في نهاية تلك المساعي والجهود لم يتم الحصول إلا على ذباب مريض، وعليل، وغير تام. ويوجد في الأعلى وعلى اليسار صورة لذبابة فاكهة طبيعية، وفي الأسفل وعلى اليمين توجد ذبابة فاكهة أخرى تعرضت للطفرات الأحيائية وخرجت سيقانها من رأسها، أما في أعلى اليمين فتوجد ذبابة فاكهة قد خرجت أحججتها بشكل مشوه وذلك بالطبع نتيجة لما تعرضت له من طفرات أحيائية.

القدرة الحيوية الكائن الحي، وإنما إلى إنها كها وإضعافها..

والسبب وراء هذا ببساطة هو أن جزيء DNA يحمل بنية معقدة جداً وأي تغيير عشوائي فيها سيؤدي ضرراً كبيراً. يشرح عالم الجينات رانغاناتان الموضوع كالتالي:

"أولاً، الطفرات الجينية نادرة الحدوث. ثانياً الطفرات في معظمها ضارة ومهلكة في بعض الأحيان لأنها تغيرات عشوائية ، وأي تغير غير منظم، علاوة على المنظم ، في أي كائن حي راقية تحدّر به نحو الأسوء ولا ترقى به إلى الأفضل. فالهزّة الأرضية التي قد تصيب أحد الأبنية على سبيل المثال، ستتسبب في تغيير في الإطار العام لها، وهذا بالطبع ما لن يكون تحسيناً في البناء."^{٥٢}

لهذا ليس غريباً غياب أي دليل على وجود طفرة كانت السبب في تغيير الشفرة الوراثية نحو الأفضل. على العكس فجميع الطفرات كانت ناكسة . أصبح واضحاً إذاً أن الطفرة التي اعتبرت من تقنيات التطور لا تجلب على الكائن الحي إلا المزيد من الضعف وتجعله عاجزاً. (من التأثيرات الشائعة للطفرة في العصر الحديث مرض السرطان). وظيفي أن لا تكون تقنية مدمرة من تقنيات "التطور" ، كما لا يمكن لـ

إذا لم يكن الأمر كذلك فهذا يعني أنها قد تطورت عن أنواع وجدت مسبقاً من خلال بعض عمليات التحول. أما إذا كانت قد ظهرت بشكلها الكامل ، فلابد أنها قد خلقت خلقاً.^{٥٥}

والمستحاثات تثبت أن الكائنات الحية قد نشأت بشكلها المكتمل على سطح الأرض، وهذا يعني أن "أصل الأنواع" ليس كما يدعى داروين، إنه خلق وليس تطور.

قصة تطور الإنسان

الموضوع الذي يحاول مؤيدوا نظرية التطور الكلام به دائماً هو موضوع أصل الإنسان. يدعى الداروينيون أن الإنسان الحالي قد تطور عن نوع من أشباه القردة. وخلال هذه العملية التطورية المزعومة، التي يفترض أنها استغرقت من ٤ - ٥ ملايين عاماً، ظهرت "أشكال تحولية" تفصل بين الإنسان الحديث وأجداده، كما يزعمون. وحسب هذه الصورة الخيالية البحتة، صنفت هذه الأشكال في أربعة فئات:

- ١- أوسترالوبيثيكوس
- ٢- هومو هابيليس.
- ٣- هومو أريكتوس
- ٤- هومو ساينس

يطلق التطوريون على الجد الأول للإنسان "أوسترالوبيثيكوس" ويعني "قرد جنوب إفريقيا". والحقيقة هو أن هذا المخلوق ليس إلا نوعاً من القرود القديمة المنقرضة. أثبتت الأبحاث الواسعة التي أجرتها عالما التشريح ، اللورد سولي زوكمان والبروفسور تشارلز أو كسنارد، من إنكلترا والولايات المتحدة، على مستحاثات أوسترالوبيثيكوس أن هذه المستحاثات تعود إلى أنواع عادية من القردة التي انقرضت والتي لا تحمل أي شبه مع الإنسان.^{٥٦}

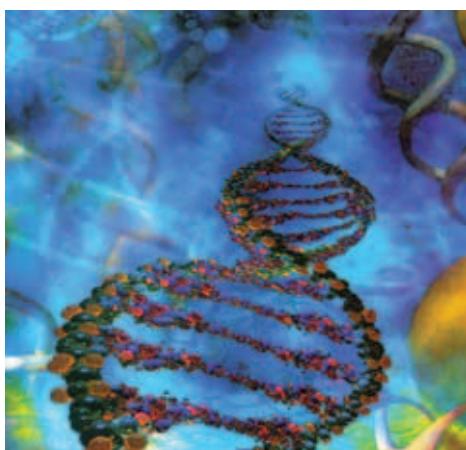
والفئة الثانية التي يصنفها التطوريون هي "هومو" وتعني "الإنسان" وحسب

آمال داروين تتبدد

بالرغم من جميع محاولات التطوريين الجادة في إيجاد مستحثاثات تدعم تصوراتهم في وجود مخلوقات تحولية في منتصف القرن العشرين في جميع أنحاء العالم، إلا أنهم لم يجدوا أياً منها . لقد أثبتت جميع المستحثاثات التي اكتشفت أثناء الحفريات الجيولوجية عكس ما قالت به النظرية الداروينية تماماً: لقد نشأت الحياة فجأة وبشكل تام لا وجود لأي شكل تحولي.

أقر أحد علماء التطور، العالم الإنجليزي ديريك آغر Derek Ager بهذه الحقيقة عندما قال:

النقطة هي أننا عندما قمنا بتقصي السجل الإحاثي بالتفصيل سواء على مستوى الأنواع أو الترتيب الزمني المرة تلو المرة، لم نجد تطور تدريجي أو مرحلة انتقالية، وإنما ظهور مفاجئ لمجموعة من الكائنات على حساب أخرى.^{٥٤}



هذا يعني أن السجل الإحاثي يبرهن أن جميع الكائنات الحية قد ظهرت على الأرض بشكل مفاجئ بأشكالها التامة، ودون أي طور تحولي، وهذا عكس الإدعاء الدارويني تماماً وإثبات قوي على حقيقة الخلق. فالتفسير الوحيد لنشوء الكائنات الحية بشكل مفاجئ على سطح الأرض بشكليها الكامل ودون تطور عن أجداد سابقين، إنما يعني أن هذه الأنواع قد

خلقت خلقاً. ويقر هذه الحقيقة عالم الأحياء التطوري دوغلاس فيتون بما: "الخلق والتطور، وبينهما التفسيرات المحتملة عن أصل الكائنات الحية. فإذاً أن تكون الأنواع قد ظهرت على سطح الأرض بتكوينها الكامل، أو لا تكون.

الكتب الدعائية لنظرية التطور، ليست إلا قصة لا أساس لها من الصحة العلمية. وبالرغم من كون العالم سولي زوكرمان، الأكثر شهرة في المملكة المتحدة، عالمًاً تطوريًاً، إلا أنه اعترف في نهاية أبحاثه، التي استغرقت عدة سنوات والتي تناولت بشكل خاص مستحاثات أوسترالوبيتيكوس لمدة ١٥ عامًاً، أنه لا يوجد شجرة بشرية تتفرع عن مخلوقات شبيهة بالقرود.

صنف زوكرمان العلوم ضمن طيف أسماء "طيف العلوم" يتدرج من العلوم التي يعتبرها علمية لينتهي في العلوم التي يعتبرها غير علمية. وحسب طيف زوكرمان، فإن أكثر العلوم "علمية" — أي التي تقوم على بيانات ومعلومات ملموسة — هي الفيزياء والكيمياء، تليهما العلوم البيولوجية وفي الدرجة الأخيرة العلوم الاجتماعية. وفي نهاية الطيف تأتي العلوم "غير العلمية" والتي يحتل مكانها "الإدراك الحسي المفرط" — وهي مفاهيم الحاسة السادسة والتيليبائي (التخاطر عن بعد) — وylieها "التطور البشري". ويشرح لنا زوكر عمله هذا:

نحن هنا إذاً نتحول من الحقيقة المسجلة موضوعياً إلى تلك المجالات التي يشغلها علم الأحياء الافتراضي، مثل الإدراك الحسي المفرط، أو التفسير التاريخي للمستحاثات الإنسانية، والتي يبدو فيها كل شيء جائز بالنسبة للتطوري،

حيث يكون التطوري
مستعداً لتصديق العديد
من الأمور المتناقضة في
وقت واحد.^{٦١}

لقد انحدرت قصة
التطور البشري لتصل إلى
مستوى التفسيرات المتهايبة
لبعض المستحاثات التي
استخرجها بعض الأشخاص



نظريّة التطوير، فإن سلالة الـ هومو أكثر تطويراً من سلالة أوسترالوبتيكوس. وهنا اخترع التطوريون خطة مثيرة بتركيبيهم لهذه مستحاثات من هذه المخلوقات ووضعها بترتيب معين. إلا أن تلك الخطة خيالية لأنه لم يثبت وجود أي علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. يقول أحد أهم المعلقين على نظرية التطور إيرنسنت ماير في كتابه "من المناظرات الطويلة":

"تعتبر الأحجية التاريخية التي تتكلّم عن أصل الحياة أو أصل الـ هومو سابينس أحجية صعبة حتى أنها تتعارض مع الاكتشافات الأخيرة."^{٥٧}

ومن خلال السلسلة التي وضعها التطوريون فإن الفئات الأربع: أوسترالوبتيكوس، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس ناشئة عن بعضها البعض. إلا أن الاكتشافات الأخيرة التي ظهرت على يد علماء المستحاثات البشرية قد أثبتت أن هذه الفئات الأربع أوسترالوبتيكوس ، هومو هابيليس، هومو أريكتوس، هومو سابينيس قد عاشت في بقاع مختلفة من العالم وفي زمن واحد.^{٥٨} علاوة على هذا، فإن الأجزاء البشرية التي صنفت في فئة "هومو أريكتوس" لم تنفرض حتى وقت قريب جداً، أما البيناندرتاليين والـ هومو سابينيس فقد تعايشوا في زمن واحد وفي منطقة واحدة.^{٥٩}

هذا الاكتشاف يدحض الادعاء بأن أحد منهم يمكن أن يكون جدآً الآخر. يفسر عالم الأحياء القديمة ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould من جامعة هارفارد النهاية المسوددة التي وصلت إليها نظرية التطور، بالرغم من أنه عالم تطوري: ماذا سيكون مصير فكرنا إذا كان هناك تزامن معيشي لثلاث من فئات الـ هومو (الإفريقي والأوسترالوبتيكوس القوي والـ هومو هابيليس) وثبت أن أحداً منهم لم ينشأ عن الآخر؟ أضعف إلى أن أحداً من هؤلاء لم يثبت عليه أي تحول تطوري خلال فترة حياته على سطح الأرض.^{٦٠}

نقول باختصار، أن سيناريyo التطور البشري الذي ينص على وجود مخلوق نصفه إنسان ونصفه قرد والذي قام على استخدام العديد من الصور الخيالية التي ظهرت في

يعتقدون في ضرورة وجوده من أجل تشكيل الكائن الحي. إنّهم مهما فعلوا، ليس بمقدورهم بالطبع أن يُخرجوها كائناً حياً من تلك البراميل. ولا يتأتى لهم أن يأتوا بواحدة من الزّرافات أو الأسود أو النحل أو عصافير الكتاريا أو البلابل أو البغوات أو الخيال أو حيتان يونس أو الورود أو زهور الأوركيد أو الزنابق أو زهور القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التمر أو الطماطم أو الشمام أو البطيخ أو التين أو الريتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويس أو طيور الدُّراج أو الفراشات مختلفة الألوان وملايين من الأنواع الحية من مثل هؤلاء. بل ليس بسعهم أن يأتوا ولو بخلية من هذه الكائنات الحية التي أحصينا عدداً منها، لا بواحدة منها كاملة الخلق.

جملة ما نبغي قوله هو أن الذرات غير الواقعية ليس بسعها أن تجتمع فتشكل خلية حية، ولا تستطيع أن تخذ قراراً جديداً من بعد فتقسم الخلية نصفين، ثم تخذ قرارات أخرى تباعاً فتأتي بكيان العلماء الذين اخترعوا المجهر الإلكتروني، ممن يراقبون بنية الخلية ذاتها فيما بعد تحت المجهر. إن الخلية تدب فيها الحياة فقط بالخلق المعجز لله عز وجل. أما نظرية التطور التي ترعم عكس هذا، فهي سفسطة تتنافي تماماً مع العقل والمنطق. وإن إعمال الفكر ولو قليلاً في المزاعم التي طرحتها التطوريون، ليظهر بجلاء هذه الحقيقة مثلما في النموذج الوارد أعلاه.

التقنية الموجودة في العين والأذن

أما الموضوع الآخر الذي لم تستطع نظرية التطور أن تأتي له بتفسير حازم، فهو جودة الإدراك الفائقة الموجودة في العين والأذن.

وبالولوج إلى الموضوع المتعلق بالعين، نود أن نجيب بإيجاز عن سؤال هو: كيف تبصر العين؟

إن الأشعة المنبعثة من جسم ما، تسقط بشكل عكسي على شبكة العين، وتقوم الخلايا الموجودة هنا لـ تحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربية، تصل إلى نقطة تسمى مركز الإبصار موجودة بالجزء الخلفي للملح. وهذه الإشارات الكهربية، بعد

الذين تعلقوا بهذه النظرية بشكل أعمى.

المعادلة الداروينية

إلى جانب كل ما تناولناه إلى الآن من أدلة تقنية ، نود أن نوجز — إن شئتم — وبمثال واضح بحيث يمكن حتى للأطفال أن يفهموه ، كيف أن التطوريين أولوا عقيدة خرافاء فاسدة .

ترى نظرية التطور أن الحياة تشكلت محضر صدفة؛ وعليه وطبقاً لهذا الزعم فإن الذرات الحامدة وغير الوعية اجتمعت وشكلت أولأ خلية، ثم جاءت الذرات نفسها بطريقة أو بأخرى بالكائنات الحية والبشر. ولنفكر الآن: إننا حينما نجمع عناصر مثل الكربون والفسفور والأزوٌوت والبوتاسيوم وهي المفردات الأساسية في بنية الكيان الحي، فإنه تتشكل كومة. ومهما مرت كومة الذرات هذه بأي من العمليات، فإنها لا يمكن أن تشكل كائنا حيا واحداً. ولنجرب تجربة في هذا الصدد إذا ما شئتم ، ولتناول بالبحث والاستقصاء، باسم التطوريين وتحت عنوان "المعادلة الداروينية" ، الرعم الذي ينافحون عنه في الأصل، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجهروا به:

فليضع التطوريون كميات وفيرة من عناصر مثل الفسفور والأزوٌوت والكربون والأوكسجين والحديد والماغنيسيوم وهي العناصر التي تتشكل منها بنية الكائن الحي، داخل أعداد هائلة من البراميل العظيمة. ولنضيفوا حتى إلى هذه البراميل ما يرون أنه من الضروري وجوده داخل هذا المزيج من مواد لا توجد حتى في الظروف الطبيعية. وليفعموا هذا المزيج بقدر ما يشاؤون من الأحماض الأمينية، والبروتين (احتمال تشكيل الوحدة الواحدة منه تصادفياً بنسبة ١٠ قوة ٩٥٠). وليمددوا هذا المزيج بالحرارة والرطوبة بالنسبة التي يرونها مناسبة، وليتحققوا ما شاؤوا من الأجهزة المتطرفة، ولقيّضوا على رأس هذه البراميل صفة علماء العالم، وليتضرر هؤلاء الخبراء في مكانهم هذا وبشكل مستمر مiliارات، بل تريليونات السنين بالتناوب من الأب إلى الابن، ومن جيل إلى جيل، ولتكن لهم مطلق الحرية في أن يستخدموا كافة ما

الذي يتسم بالجودة والنقاء، إنما تشكلت بمحض المصادفة . والآن إذا ما قال أحد لكم إن التلفاز الموجود في حجرتكم، إنما قد تشكل نتيجة مصادفات، وأن الذرات تجمعت وجاءت بالجهاز الذي يشكل هذه الصورة، ماذا تعتقدون فيه؟! كيف لذرات غير واعية أن تصنع ما لم يتأت لآلاف الأشخاص مجتمعين أن يصنعوه؟!
إن الآلة التي تشكل منظراً هو أكثر بدائية مما تراه العين، لو أنها لا تتشكل مصادفة، فإنه من الواضح للغاية أن العين والمنظر الذي تراه بدورهما لن يتشكلا بمحض مصادفة، والحال كذلك بالنسبة للأذن. فالأذن الخارجية تجمع الأصوات المحيطة بواسطة صوان الأذن، وتقوم بتوصيلها إلى الأذن الوسطى، تقوم هي الأخرى بتنقية الذبذبات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، تقوم بدورها بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربية، وإرسالها إلى المخ. وعملية السمع أيضاً كما هو الشأن في عملية الإبصار تتم في مركز السمع الموجود في المخ.

والوضع الذي في العين يسري كذلك على الأذن. بمعنى أن المخ محظوظ كذلك عن الصوت مثلما هو محظوظ عن الضوء، فالصوت لا ينفذ، وعليه فإنه مهما بلغت شدة الضجيج خارج المخ، فإن داخله ساكن تمام السكون. ورغم هذا فإن أنقى الأصوات تُلتفت في المخ. ولو أنكم تسمعون سيمفونيات أوركسترا في مخكم الذي لا ينفذ إليه الصوت، فإنكم تشعرون بكل صخب أحد الأوساط المزدحمة. وإذا ما قيس مستوى الصوت الذي بداخل المخ باستخدام جهاز حساس في تلك اللحظة، فسيتبين أنه يُطبق عليه السكون التام.

وعلى نحو ما استخدمت التقنية أعلاه في الحصول على صورة نقية، فإن المساعي نفسها تتواصل منذ عشرات السنين بالنسبة كذلك للصوت. وتُعد أجهزة تسجيل الصوت وأشرطة الكاسيت وكثير من الأجهزة الإلكترونية، والأنظمة الموسيقية التي تلتقط الصوت، بعض ثمار هذه المساعي. ولكن على الرغم من كل التقنيات، وآلاف المهندسين والخبراء العاملين بحقلها، لم يتأت الوصول إلى صوت بنقاء وجودة الصوت الذي تلتقطه الأذن. وتأملوا أجود أشرطة الكاسيت التي تنتجها كبرى شركات الأنظمة

مجموعة من العمليات يتم التقاطها كصورة في هذا المركز الكائن في المخ. وبعد هذه المعلومة فلنفكّر:

إن المخ محجوب عن الضوء، بمعنى أن داخل المخ ظلاماً دامساً، ولا يتأتى للضوء أن ينفذ إلى حيث يوجد المخ. والموضع الذي يسمى مركز الإبصار موضع حالك الظلمة ليس الضوء ببالغه أصلاً، ولعله مظلم بدرجة لم نصادفها قط. إلا أنكم في هذه الظلمة الحالكة تشاهدون عالماً مضيئاً متوجهاً.

فضلاً عن كونه منظراً على درجة من النقاء والجودة تعجز حتى تقنية القرن الحادي والعشرين — رغم كل الإمكانيات — أن تأتي بمثلها. انظروا مثلاً إلى الكتاب الذي بين أيديكم الآن، وانظروا إلى أيديكم التي تمسك الكتاب، ثم ارفعوا رأسكم وانظروا حولكم.رأيتم منظراً بهذا النقاء والجودة في أي موضع آخر؟ إن شاشة أكثر أجهزة التلفاز تطوراً والتي تنتجهها شركة أجهزة التلفاز الأولى على مستوى العالم، لا يمكن أن تمنحكم صورة بهذا القدر من النقاء. ومنذ مائة عام وآلاف المهندسين يسعون للوصول إلى هذا النقاء، ومن ثم تُشيد المصانع والمؤسسات العملاقة، وتُحرى الأبحاث، ويتم تصوير الخطط والتصميمات. ولتنظروا ثانية إلى شاشة التلفاز، وفي اللحظة ذاتها إلى الكتاب الذي بين أيديكم، فسوف ترون أن هناك فرقاً شاسعاً في النقاء والجودة. فضلاً أن شاشة التلفاز تبدي لكم صورة ثنائية الأبعاد، في حين أنكم تتبعون مناظر ثلاثية الأبعاد ذات عمق.

ومنذ سنوات طوال يسعى عشرات الآلاف من المهندسين لتصنيع شاشات جهاز تلفاز تعطي صورة ثلاثية الأبعاد، والوصول إلى جودة رؤية العين. نعم لقد أمكنهم تصميم نظام تلفاز ثلاثي الأبعاد، غير أنه ليس في الإمكان رؤيته ثلاثي الأبعاد دون ارتداء النظارة. ومع أن هذه الأبعاد الثلاثة اصطناعية. فالجهة الخلفية تظل عكرة، أما الجهة الأمامية فتبعد وكأنها صورة من ورق. ولا يتشكل أبداً منظر في جودة ونقاء المنظر الذي تراه العين. ويحدث بالطبع أن تضيع الصورة في الكاميرا والتلفاز. وهذا هم التطوريون يزعمون أن آلية الإبصار في العين والتي تظهر هذا المنظر

الذي جمع بمكان حالي الظلمة داخل المخ يقدّر بعدة سنتيمترات مكعبّة، الكائنات كافة بصورة ثلاثة الأبعاد ذات ألوان وظلال وضياء، ويخشأه ويلوذ به.

عقيدة مادية

إن ما تناولناه إلى الآن بالبحث والتدقيق ليظهر أن نظرية التطور ما هي إلا زعم يعارض بوضوح مع الاكتشافات العلمية، ويحافي زعم النظرية — فيما يتعلق بأصل الحياة — المنطق العلمي. فليس لأية آلية تطور فقط طرحتها النظرية أي تأثير تطوري. وتكشف الحفريات أن الكائنات الحية لم تمر بمراحل بيئية تلك التي تستوجبها النظرية. وفي هذه الحالة يتبعن تنحية نظرية التطور جانبا باعتبارها فكرة مجازفة للعلم. لا سيما وأن كثيراً من الأفكار التي ظهرت على مدار التاريخ، مثل فكرة أن الأرض هي مركز الكون، قد حُذفت من أجندة العلم. في حين أن نظرية التطور يُتشبث بها بإصرار في هذه الأجندـة، حتى إنه من الناس من يسعى لإظهار أي انتقاد موجه إلى النظرية وكأنه هجوم على العلم ! لم هذا إذن؟!

إن السبب في هذا الوضع إنما هو تكون عقيدة جازمة لنظرية التطور لا يمكن التكوص عنها بالنسبة إلى بعض الأوساط. وتخالص هذه الأوساط إخلاصاً أعمى للفلسفة المادية، وتتبني الداروينية كذلك لأنها التفسير المادي الوحيد للطبيعة الذي يمكن الإتيان به.

وأحياناً يعترفون صراحة بهذا، ويعرف ريتشارد لوتنين (Richard Lewontin) — عالم الوراثة الشهير بجامعة هارفرد وفي الوقت ذاته تطوري بارز، — بأنه "مادي في المقام الأول، ثم عالم في المقام الذي يليه"، إذ يقول:

"إن لنا إيماناً بالمادية، وهو إيمان استباقي (اعتقدنا سلفاً، وافتراضت صحته). والشيء الذي يدفعنا إلى الإتيان بتفسير مادي للعالم، ليس هو أصول العلم وقواعده، بل على العكس من ذلك فإننا — بسبب من إخلاصنا سلفاً للمادية — نختلق أصول ومفاهيم بحثية تأتي بتفسير مادي للعالم. ونظراً إلى كون المادية صحيحة صحة

الموسيقية، فحينما يسجل الصوت، حتماً يضيع شطر منه، أو يحدث تشوش بالطبع ولو قليلاً، أو أنه حينما تقومون بتشغيل شريط الكاسيت فإنكم لا بد أن تسمعوا له صريراً قبل أن تبدأ الموسيقى. في حين أن الأصوات التي من نتاج التقنية الموجودة بالجسم الإنساني تتسم بأقصى درجات النقاء، ولا تشوبها شائبة. ولا تلتقط أذن إنسان أبداً الصوت بشكل به صرير أو تشويش. وأيا ما كانت طبيعة الصوت فإنها تلتقطه بشكل كامل ونقى. وهذا الوضع لا يزال على ذات الكيفية منذ أن خُلق الإنسان وإلى يومنا هذا. وإلى الآن ليس ثمة جهاز بصري أو صوتي من صنع بني الإنسان يتلقط الصورة والصوت بشكل حساس وناجح مثل العين والأذن.

وفيما عدا هذا كله، فإنه ثمة حقيقة عظيمة للغاية في عملية الإبصار والسمع.

لمن تعود حاسة الإبصار والسمع داخل المخ؟

من ذا الذي بداخل المخ يشاهد عالماً مضيئاً ملوناً، ويسمع السيمفونيات وزفرقة العصافير، ويتتسنم عبر الورود؟ إن التبيهات الآتية من عيني الإنسان وأذنيه وأنفه تمضي إلى المخ في صورة إشارة كهربية. وإنكم لطالعون تفصيلات كثيرة في كتب علم الأحياء والطبيعة والكيميات الحيوية، بيد أنكم لا يمكن أن تصادفو في أي موضع قط أهم حقيقة ينطوي عليها هذا الموضوع ألا وهي: من ذا الذي بالمخ يتلقى هذه الأشارات الكهربية ويدركها على أنها صورة وصوت ورائحة وإحساس. إن ثمة حاسة توجد بداخل المخ تلتقط هذا كله دون حاجة إلى عين أو أذن أو أنف، لمن تعود هذه الحاسة. بالطبع لا تعود على ما يشكل المخ من أعصاب وطبقات دهنية وخلايا عصبية. وهكذا ولهذا السبب ليس بمقدور الماديين الداروينيين ممن يظنون أن كل شيء ليس سوى مادة، أن يحييوا على هذه التساؤلات، لأن هذه الحاسة إنما هي الروح التي خلقها المولى عز وجل. فهي لا تحتاج إلى عين حتى ترى الصورة، ولا أذن حتى تسمع الصوت. وعلاوة على هذا كله، فهي ليست بحاجة إلى مخ كيما تفكّر. إن كل امرئ يطالع هذه الحقيقة العلمية الجليلة، عليه أن يفكر في الله عز وجل

(Charlton Heston)، يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزئيات والمواد غير الحية التي تملأ برميلاً عظيماً. لا سيما وأن من يؤمنون بهذا الخَرْف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخداماً في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثل هذه الدرجة وحرمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستاراً أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعباده أهل سبا للشمس وعباده قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي كانوا يصنعونها بأيديهم، وعباده قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعواه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلن عليه الفهم ويتردون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشاوةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
(البقرة: ٦-٧).

وقوله أيضاً :

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بَهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بَهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بَهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾
(الأعراف: ١٧٩).

أما في سورة الحجر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سُحروا بحيث أنهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرْتُمْ

مطلقة، فإننا لا يمكن أن نسمح بدخول تفسير إلهي إلى الساحة". ٦٢
وتعُد هذه الكلمات اعترافات صريحة بأن الداروينية مولود يحيا في سبيل الإخلاص للفلسفة المادية. وهذا المولود يفترض أنه ما من وجود قط سوى المادة. ولهذا السبب يعتقدون أن المادة الجامدة عديمة الوعي إنما خلقت الحياة. ويدهبون إلى أن ملايين الأنواع الحية المختلفة مثل الطيور والأسماك والزرافات والنمور والحيشات والأشجار والأزهار وحيتان البال والبشر إنما تشكلت من داخل المادة الجامدة وبالتالي فإن حقيقة الأمر الحادثة داخل المادة ذاتها؛ أي بالمطر الساقط، والبرق الخاطف. أما في حقيقة الأمر فإن هذا يتنافي مع العقل والمنطق على السواء. يبد أن الداروينيين يستمرئون المنافحة عن هذا الرأي بُغية "عدم دخول تفسير إلهي إلى الساحة" على حد تعبيرهم.
أما من لا ينظرون إلى أصل الكائنات الحية وفي أذهانهم حكم مادي مسبق، فسوف يدركون هذه الحقيقة الجليلة. والكائنات الحية كافة إنما هي من صنع خالق ذي قوة وعلم وعقل معجز. إنه الله الذي خلق الكون كله من العدم، ونظمه بشكل لا تشوبه شائبة أو قصور، وخلق الكائنات الحية كافة وصورها.

إن نظرية التطور هي أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة ودون الواقع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بمنأى عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصديقه.

وعلى النحو المتقدم تبيانيه، فإن من يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن الأساتذة الذين يفكرون ويعقلون ويخترون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينشتين هوبن (Einstein Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Frank Sinatra) وشارلتون هيستون

(١١٧-١١٩)

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحرموا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باهروا بالذل والضعة . وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم ويتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حياتهم للدفاع عنها، فسوف يسقط شأنهم ويذلوا ما لم يخلوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظهر الحقيقة بجلاء بكامل معانيها، و "يُبطل تأثير السحر" .

ويشرح مالكوم موجريديج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلاً:

"إنني أنا نفسي صرت مقتنعاً بأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكل تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبّقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والحيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل" .^{٦٣}

وهذا المستقبل ليس بعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادرات ليست إليها وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون ممن وقفوا على سر خدعة التطور، يتساءلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿الحجر: ١٤-١٥﴾

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ ١٥٠ عاماً، لهو وضع مثير للجيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالخرف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشبهه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتزان، وبكوك الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبئنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص ممن ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثرون على الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يتلقى بسحرته في موضع يحتشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول:

﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسُحْرٍ عَظِيمٍ ﴿الأعراف: ١٦﴾

. وعلى نحو ما تبدي تمكن سحرة فرعون بما صنعوا من خداع أن يسحروا الناس جميرا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُونَ"، أي أنه أبطل تأثيره، يقول تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغَلُبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿الأعراف: ١٧﴾

43. Robert Clark, Darwin: Before and After, Grand Rapids International Press, Grand Rapids, MI, 1958., s. 115-116; cited by Jerry Bergman, “Darwinism and the Nazi Race Holocaust”, <http://www.trueorigin.org/holocaust.htm>
44. Sidney Fox, Klaus Dose, Molecular Evolution and The Origin of Life, New York: Marcel Dekker, 1977. p. 2
45. Alexander I. Oparin, Origin of Life, (1936) New York, Dover Publications, 1953 (Reprint), p. 196
46. “New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life”, Bulletin of the American Meteorological Society, vol 63, November 1982, p. 1328-1330.
47. Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, 1986, p. 7
48. Jeffrey Bada, Earth, February 1998, v. 40
49. Leslie E. Orgel, “The Origin of Life on Earth”, Scientific American, vol 271, October 1994, p. 78
50. Charles Darwin, : A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 189
51. Charles Darwin, , p. 184.
52. B. G. Ranganathan, Origins?, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, 1988.
53. Charles Darwin,, p. 179
54. Derek A. Ager, “The Nature of the Fossil Record”, Proceedings of the British Geological Association, vol 87, 1976, p. 133
55. Douglas J. Futuyma, Science on Trial, New York: Pantheon Books, 1983. p. 197
56. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, ss. 75-94; Charles E. Oxnard, “The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt”, Nature, vol 258, p. 389
57. J. Rennie, “Darwin’s Current Bulldog: Ernst Mayr”, Scientific American, December 1992
58. Alan Walker, Science, vol. 207, 1980, p. 1103; A. J. Kelso, Physical Anthropology, 1st ed., New York: J. B. Lipincott Co., 1970, s. 221; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, vol. 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272
59. Time, November 1996
60. S. J. Gould, Natural History, vol. 85, 1976, p. 30
61. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, p. 19
62. Richard Lewontin, “Billions and billions of demons”, The New York Review of Books, 9 January, 1997, p. 28.
63. Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids: Eerdmans, 1980, p. 43

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

البقرة: ٣٢

1. Prof. Thomas Arnold, *The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching*, Goodword Books, 2001, p. 79-80
2. John L. Esposito, *Islam: The Straight Path*, Oxford University Press, 1998, p. 10
3. Ramuz El Hadis, Vol 1, 84/8
4. Ramuz El Hadis, Vol 1, 76/12
5. Bukhaaree (5778) and Muslim (109 and 110), Reported by Muslim - Eng. Trans, Vol. 1, p. 62, No. 203
6. Karen Armstrong, *Holy War*, MacMillan London Limited, 1988, p. 25
7. Tabari, *Ta’rikh*, I, 1850, cited in Majid Khadduri, *War and Peace in the Law of Islam*, Johns Hopkins Press, Baltimore, 1955, p. 102
8. Fred Aprim, “The A to Z of the ancient Chaldeans and their relation to modern Chaldeans”, <http://www.atour.com/education/20001021a.html>
9. Prof. Thomas Arnold, *The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching*, p. 71-72
10. L. Browne, *The Prospects of Islam*, p. 11-15
11. John L. Esposito, *Islam: The Straight Path*, p. 33-34
12. Bernard Lewis, *The Middle East*, Weidenfeld & Nicolson, London, 1995, p. 210
13. Prof. Thomas Arnold, *The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching*, p. 96
14. Prof. Thomas Arnold, *The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching*, p. 88-89
15. F. Emecen, K. Beydilli, M. İpsirli, M. A. Aydin, İ. Ortaylı, A. Özcan, B. Yediyıldız, M. Küfüoğlu, *Ottoman Devleti ve Medeniyeti Tarihi* (The History of the Ottoman State and Civilization), *İslam Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi*, İstanbul, 1994, p. 467
16. *Gesta Francorum*, or the Deeds of the Franks and the Other Pilgrims to Jerusalem, translated by Rosalind Hill, London, 1962, p. 91
17. August C. Krey, *The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants*, Princeton & London, 1921, p. 261
18. August C. Krey, *The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants*, p. 262
19. Alan Ereira, David Wallace, *Crusades: Terry Jones Tells the Dramatic Story of Battle for Holy Land*, BBC World Wide Ltd., 1995.
20. The Pact of Najran, Article 6, http://www.islamicresources.com/Pact_of_Najran.htm
21. Karen Armstrong, *Holy War*, p. 30-31
22. John L. Esposito, *Islam: The Straight Path*, p. 58
23. Prof. Thomas Arnold, *The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching*, p. 56
24. John L. Esposito, *Islam: The Straight Path*, p. 59
25. Karen Armstrong, *Holy War*, p. 185
26. Yusuf Besalel, *Yahudi Ansiklopedisi* (Jewish Encyclopedia), Volume 1, Gözlem Gazetecilik Basın ve Yayım AŞ, 2001, p. 246
27. An Interview with Edward Said by the Israeli Newspaper Haaretz, Friday, August 18, 2000
28. Charles Darwin, *The Descent of Man*, 2nd edition, New York, A L. Burt Co., 1874, p. 178
29. Lalita Prasad Vidyarthi, *Racism, Science and Pseudo-Science*, Unesco, France, Vendôme, 1983. p. 54
30. Theodore D. Hall, “The Scientific Background of the Nazi “Race Purification” Program”, <http://www.trufax.org/avoid/nazi.html>
31. James Joll, *Europe Since 1870: An International History*, Penguin Books, Middlesex, 1990, p. 164
32. M. F. Ashley-Montagu, *Man in Process*, New York: World. Pub. Co. 1961, pp. 76, 77 cited in Bolton Davidheiser, W E Lammers (ed) *Scientific Studies in Special Creationism*, 1971, p. 338-339
33. L. H. Gann, “Adolf Hitler, The Complete Totalitarian”, *The Intercollegiate Review*, Fall 1985, p. 24; cited in Henry M. Morris, *The Long war Against God*, Baker Book House, 1989, p. 78
34. J. Tenenbaum., *Race and Reich*, Twayne Pub., New York, p. 211, 1956; cited by Jerry Bergman, “Darwinism and the Nazi Race Holocaust”, <http://www.trueorigin.org/holocaust.htm>
35. Peter Chrissip, *The Rise Of Fascism*, Witness History Series, p. 6
36. Hickman, R., *Biocreation*, Science Press, Worthington, OH, pp. 51-52, 1983; Jerry Bergman, “Darwinism and the Nazi Race Holocaust”, *Creation Ex Nihilo Technical Journal* 13 (2): 101-111, 1999
37. Robert M. Young, *Darwinian Evolution and Human History*, Historical Studies on Science and Belief, 1980
38. Alan Woods and Ted Grant, *Reason in Revolt: Marxism and Modern Science*, London: 1993
39. K. Mehnert, *Kampf um Mao’s Erbe*, Deutsche Verlags-Anstalt, 1977
40. Karl Marx, *Das Capital*, Vol. I, 1955, p. 603
41. Vladimir Ilich Lenin, *Collected Works*, 4th English Edition, Progress Publishers, Moscow, 1965, Volume 11, p. 216
42. L. Poliakov, *Le Mythe Aryen*, Editions Complexe, Calmann-Lévy, Bruxelles, 1987, p. 343